وزارة التعليـم العالـي والبحث العلـمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

رقم التسجيل:13/MD12/286

جدلية الواقعي والمتخيل في النقد العربي الحديث

ـ سعيد يقطين أنموذجا ـ

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: أدب عربي **فرع:** أدب عربي **تخصص:** نقد أدبي حديث

إعداد الطالبة:
– فراحتية نور الهدى

إشراف الدكتور:
–بركة ناصر

السنة الجامعية:2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى " وَإِذ تَأَذَنَ رَبُكُم لَئن شَكَرتُم لَأَزيدَنَكُم ".

لا شكر إلا بعد شكر الله عز وجل، الذي سهل لطالب العلم الطريق إلى الجنة وبسط له أجنحة الملائكة نشكره سبحانه على جزيل النعم التي وهبها لنا.

وأصلي وأسلم على صفوة الأنبياء ونور العالمين سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

واعترافا مني بالجميل والتقدير، أتقدم بفائق الشكر والامتنان لأستاذنا الفاضل المشرف:

" بركة ناصر " لما أمده لي من توجيهات ونصائح وعلى سعة صبره إلى غاية نهاية هذا العمل.

وأخص بالشكر أيضا أعضاء اللجنة المناقشة لهذا البحث على تحملهم عناء القراءة حتى يمدونني بآرائهم السديدة وملاحظاتهم القيمة.

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع ولو بكلمة أو دعاء أو حتى ابتسامة...

فلكم مني

ألف تحية وشكر.

مقدمة

مقدمة:

يلاحظ المتتبع لمسار التجربة النقدية، ذلك التحول الذي مس الرواية العربية بظهور تجارب تجديدية عديدة ومتنوعة وتبدو هذه التجارب كأنها وجدت ضالتها المنشودة بعد صبر مديد، وتؤكد أنها استطاعت بمعاييرها الجديدة السمو بكيان الرواية العربية، والتجديد في معالجة قضاياه الموضوعية والذاتية.

وهو ما يحتم على النقاد ضرورة الكشف عن المعايير النقدية وتجديد الأدوات من خلال التفاعل والتضافر مع النص الروائي الجديد، وهذا دونما إغفال للثقافة التي تسود مجتمعا ما، في فترات مختلفة متباينة عبر العصور.

ويعد سعيد يقطين واحدا من المهتمين بهذه القضايا وبخاصة قضية "الواقعي" و "المتخيل" الذي تعرض لها في معظم كتاباته نذكر على سبيل المثال: قضايا الرواية العربية الجديدة، الكلام والخبر، السرد العربي، الذين شكلوا جزءا من بحثي هذا، وإن أهم إشكالية قام عليها هذا البحث هي: ما طبيعة العلاقة بين الواقعي والمتخيل عند سعيد يقطين؟ وكيف تنتج هذه العلاقة في الأعمال الروائية الحديثة؟ وما نظرة سعيد يقطين للواقعي والمتخيل من خلال أعماله النقدية؟

جاء اختياري لموضوع الواقعي والمتخيل رغبة مني في معرفة المستوى الفني الذي وصل إليه الإنتاج الروائي بما له من خصائص وطرق بناء، إضافة إلى إعجابي بكتابات **سعيد يقطين**، لتحقيق هذه الرغبة وللإجابة على إشكالية موضوع البحث قسمت بحثي وفق الخطة التالية: مقدمة، ثلاثة فصول، وخاتمة. تعرضت في **الفصل التمهيدي** إلى ضبط المصطلح والمدونات بربط الواقعي والمتخيل بأعمال سعيد يقطين النقدية وأهم مراحل حياة سعيد يقطين العلمية في سطور وختمته بعلائق الواقع بالمتخيل (علاقة تلاحم، علاقة موضوع بمحمول، علاقة دال بمدلول، علاقة متبادلة، علاقة جمالية، علاقة تعارض).

أما **الفصل الأول** فقد تكلمت فيه عن مفهوم الواقعي وحضوره النقدي (مفهومه الاصطلاحي وجدل التوظيف، الدلالة اللغوية، الواقع الروائي) ثم علائق الواقع وامتداداته

(الواقع والفلسفة، الواقع والذات، الواقع والأسطورة) وفي الأخير تحدثت عن الرؤيا النقدية لمفهوم الواقعي وموقف سعيد يقطين النقدي من خلال بعض كتبه مع رأي بعض النقاد.

أما **الفصل الثاني** فدار حول مفهوم المتخيل (لغة، اصطلاحا: دلالة المتخيل في الثقافة الإسلامية، دلالة المتخيل عند البلاغيين العرب، دلالة المتخيل في الفكر الغربي , دلالة المتخيل عند الصوفية والمتخيل الروائي) كما تناولت فيه علائق المتخيل (المتخيل والعقل, المتخيل والشعرية , المتخيل والموضوع الجمالي والتلقي) وفي الأخير تعرضت إلى تجليات المتخيل في تفكير سعيد يقطين النقدي من خلال كتاباته ورأي بعض النقاد في هذا المجال وأكملت بحثي بقائمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها .

واعتمدت في تتبع هذه العناصر المنهج التحليلي الوصفي الذي يتناسب لطبيعة الدراسة، وفي سياق عملية البحث والدراسة تم تتبع عدد من المصادر ذات الصلة الوثقى لموضوع المذكرة ومنها على الخصوص:

- قضايا الرواية العربية الجديدة لسعيد يقطين.
- السرد العربي مفاهيم وتجليات لسعيد يقطين.
- المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف لآمنة بلعلي.
- فضاء المتخيل لحسين خمري.
- شعريات المتخيل للعربي الذهبي.

وفي الأخير أذكر أهم صعوبة واجهتني في هذا البحث ضيق الوقت وبعض المشاكل (الخاصة)، إضافة إلى تشعب الموضوع لكن بالرغم من هذا آمل أن تكون قراءتي مساهمة في التعريف بالواقع والمتخيل وربطها بأعمال سعيد يقطين النقدية.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف على هذا البحث "**بركة ناصر**".

الفصل التمهيدي
في علاقة الواقع بالمتخيل

مدخل:

إن الرواية عالم فسيح ومفعم بالحوادث لأن الواقع يعمل فيه بطقوسه وانفعالاته ويرسم وينحت أخاديده في نهاياته الممتدة بين مد التاريخ وجزر الواقع.[1]

ولما كان الموضوع الأساسي للتاريخ هو الواقع، فإن واقع الرواية متخيلها كمبنى أساسي وقبل أن تمنحها الرواية التاريخية اندماجا للواقع بالمتخيل، تساءل مع "جيرار جينات" عن إمكانية إلغاء أحد العنصرين (الواقع / المتخيل) من بنية كل من التاريخ والرواية خاصة وأن لكل منها علاقة بالتعبير، الحدث والإنسان، حيث يقول:" هو وجود يوم ما متخيل محض؟ ولا متخيل محض؟ وبإمكان جملة طارق علي التالية أن تلخص الإجابة:" الخيال عند الروائي مقدس والحقيقة مجال للانتهاك، ولا بد أن العكس صحيح عند المؤرخ. إلا أن السبيل الوحيد للتفريق يبقى طغيان أحد العنصرين على الآخر، والذي يحدد المسافة والمجال، فالتاريخ يحتمي بما هو حقيقي، ويحاول تلمس الوقائع والمجريات التي حدثت فعلا، بينما الرواية تشتغل على مساحات الخيال، ذلك أن ما يحددها ليس سماتها الشكلية بقدر ما تتحدد بمدلولها المرتبط عادة بفكرة المتخيل، محاولة الإيهام في الواقع إلا أنها تتفاداه حتى تبقى على كينونتها ونسقها الخاص، رغم أنها لا تخلو من حقيقة هي الأخرى.[2]

والفصل بين الواقعي والمتخيل عملية معقدة نظرا لما يتصل بالواقع من هواجس الذات وتوجهاتها، وتفرض حقيقة الفعل الواقعي ورد الفعل التخييلي المصاحب له في تعامل الإنسان مع ذاته، ومع ما يدور حوله من ممارسات، قد تكون هذه الممارسات غرائبية بالنسبة إليه، وقد تكون غير مألوفة في واقعه الذاتي، إلا أنها تمثل مرحلة الوعي ومنطقة الإدراك، وبؤرة التمييز بين ما هو حقيقي، وبين ما يدور في منطقة الهواجس من موضوعات يمثلها المرء ويرسم لها حدود الاسترجاع في واقعه الآني.

---

(1) الثقافة مجلة فصلية، عدد 18 نوفمبر 2007، ص 185.

(2) طارق علي: تأملات في الرواية والتاريخ، ندوة الرواية والتاريخ، دار الكتب القطرية، 2005، ص 30.

ولا شك في أن " القدرة التخييلية " على استرجاع الواقعي تجرنا في بعض الأحيان إلى الإحساس بهذا الواقعي الذي ولى ومضى وكأنه حقيقة نراها ونشعر بها مائلة في أذهاننا، بل هي في الحقيقة منطقة موجودة في اللاوعي تبدوا وكأنها ذات قدرة على التشكل والتلون والظهور مرة أخرى بمظهر مغاير لما كان يدور في "المخيلة"، وأن محاولة استعادتها مرة أخرى ومحاولة استرجاع أحداثها التي مرت عليها سنوات طويلة تجعل التلاحم بين الواقعي والمتخيل مؤسسا لواقع جديد، وهو لا شك واقع إبداعي آني له آليته الخاصة، وقد يختلف عن الواقع الواقعي في أنه مشحون برؤية فردية أو جماعية خاضعة لقوانين المكان والزمان في شكلها الذي ينتسب إلى التجربة الروائية في كثير من الأحيان.[1]

لقد ربط سعيد يقطين بين الواقعي والمتخيل من خلال أعماله الروائية وكتاباته، حيث يرى أن الرواية التاريخية والرواية المعاصرة كلتاهما توظف التاريخ، لكن الفرق بينهما يكمن في طريقة توظيف التاريخ، فإذا كان الخطاب التاريخي يسيطر على الرواية التاريخية ويطبعها بطابعة فتبدوا الشخصية سطحية، وذات بعد واحد، بالإضافة إلى الفردية التي تطبع الصيغة السردية، والرؤية السردية في الرواية التاريخية فإن الرواية المعاصرة تخضع الخطاب التاريخي لسيطرتها، فتقدمه بطريقة جديدة، تتناسب وطبيعة الخطاب الروائي، وبناء على ما تقدم نوافق الدكتور سعيد يقطين على أن رواية "الزيني بركات" رواية غير تاريخية على الرغم من أن رائحة التاريخ تفوح منها على مستوى التشخيص واللغة والزمان والمكان.[2]

وهذا ما أكده سعيد يقطين الذي يرى بأن الرؤية السردية في الخطاب التاريخي في معرض حديثة عن كتاب " بدائع الزهور في وقائع الدهور" لابن إياس، بأنه يتميز بشكل سردي واحد، على اعتبار أن الراوي (المؤرخ) لا يشارك في القصة أو في مادة حكية، كما

---

[1] عن حدود الواقعي والمتخيل، عبد اللطيف محفوظ، www.aljabriabed.net.

[2] صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 2001، ص 90.

تتميز بصوت سردي واحد "على اعتبار أن ما يسرده الراوي من أحداث وأخبار هو في الوقت نفسه مبرئها، وهو يبرئها من الخارج"[1].

نجد دراسة " سعيد يقطين " خطت بالسرد الروائي العربي خطوات عملاقة نحو الأمام، وتمثلت هذه الدراسة في كتابه " تحليل الخطاب الروائي، الزمن السرد، التبئير، 1989م". وفي هذه الدراسة اهتم سعيد يقطين بالجانب التطبيقي، كذلك قدَم دراسة أخرى بعنوان " انفتاح النص الروائي، النص والسياق"

فهاتان الدراستان لـ:" سعيد يقطين " اهتمت بالسرد اهتماما بالغا حيث إنه يعرفه بقوله:" إن السرد هو التواصل المستمر الذي من خلاله يبدوا الحكي كمرسلة يتم إرسالها من مرسل إلى مرسل إليه، وهو السرد ذو طبيعة لفظية لنقل المرسلة، وهي شكل لفظي يتميز عن باقي الأشكال الحكائية.[2]

فقلائل هم النقاد العرب الذين يمارسون الكتابة بمسؤولية، فقد كان منهم سعيد يقطين حيث اعتبر النقد عملا معرفيا منهجيا جمع في شخصه بين الناقد الأدبي المحترف مدركا أن المعرفة تأتي من تفاعل أجناس معرفية، وأن المعرفة المكتفية بذاتها عقيمة إن وجدت، ولعل تعامله المتميز مع حقله الخاص به هو الذي أعطى عمله صفة المشروع، الذي يتقدم ويرتقي بجهد منهجي، يجمع بين النظر والتطبيق، يقول في مفتتح كتابه:" ذخيرة العجائب العربية، سيف بن ذي يزن 1994" :" فكرت وأنا أبحث في السيرة الشعبية العربية، وبنظيرتها من النصوص المهمشة أن أجمع هذه المواد المتفرقة وأجعل هذا مشروعا..." فهو يقصد من قراءة " العجائب العربية " تأمل الخيال العربي وقراءة " المتخيل الشعبي المبدع" وقد تحدث في كتابه " الرواية والتراث السردي – من اجل وعي جديد بالتراث – 1996" عن الموروث العربي كله. كما لو كانت سيرة سيف بن ذي يزن حاضنة أولى لسير متوالدة حيث أن قراءة بنى سردية متعددة في بنية أولى هي التي أعطت عمل سعيد يقطين صفة المشروع. ويكشف

---

[1] سعيد يقطين: قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، 1997، ص 162.

[2] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، للطباعة والنشر والتوزيع/الدار البيضاء، ط 3، 1997، ص 47.

هذا المشروع في عناوين كتب متعددة:" قال الراوي، انفتاح النص الروائي، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، الرواية والتراث السردي " [1]

أولا_ حياة سعيد يقطين ومؤلفاته في سطور:

سعيد يقطين من مواليد الدار البيضاء، المغرب، 8 ماي 1955، نال دكتوراه دولة في الآداب من جامعة محمد الخامس الرباط–المغرب – شغل منصب، ولما يزل منصب أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وكتب الشعر إلى حدود 1977م.

ومن الوظائف التي تولاها طيلة مشواره المهني والأكاديمي:

- رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (من 1997 إلى 2004).
- منسق مجموعة البحث في " التراث السردي الأندلسية – المغربية – المتوسطية " داخل كلية الآداب بالرباط.
- منسق الدكتوراه في الأدب " آداب وفنون متوسطية" داخل كلية الآداب بالرباط.
- أستاذ زائر بجامعة جان مولان، ليون 3، كلية اللغات، فرنسا، خلال الموسمين الجامعيين: 2003/2002 و 2004/2003.
- أستاذ زائر بجامعة السلطان قابوس، مسقط عمان، الفصل الثاني 2013.

كما مارس مهاما ثقافية منها على الخصوص:

- عضو المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب (ثلاث دورات).
- الكاتب العام لـ " المركز الجامعي للأبحاث السردية ".
- عضو في الهيئة الانتشارية أو العلمية في مجلات بالمغرب والجزائر وتونس والبحرين والكويت والأردن.
- عضو اتحاد كتاب الانترنت العرب[2].

---

[1] مجلة الحياة: تاريخ الإصدار 21 مايو/ أيار 2014، www.alhayat.com

[2] سعيد يقطين : الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) , المركز القافي العربي , الدار البيضاء .ط1 .1997 , ص 22

نال سعيد يقطين من الجوائز التكريمية والتشريفية:

- جائزة المغرب الكبرى للكتاب سنة 1989 وسنة1997.
- 2014/6/2 يوم دراسي تكريما لسعيد يقطين في موضوع المشروع النقدي للد/ سعيد يقطين في تاوريرت جنوب المغرب.

كما تولى المهام العلمية الآتية:

- عضو في لجان تقويم طلبات اعتماد الماستر ووحدات السلك الثالث والدكتوراه على الصعيد الوطني (المغرب).
- خبير في تقييم مؤلفات أو تقارير مقدمة لهيئات عربية.
- خبير لدى مكتب اليونسكو (المغرب العربي) لإعداد خمس مكتبات عربية ومغاربية ونسائية.
- مشارك في العديد من المؤتمرات والندوات الثقافية على الصعيدين العربي والدولي.[1]

له من المؤلفات:

1-القراءة والتجربة: حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م، طبعة جديدة، دار رؤية للنشر، القاهرة، 2013م.

2-تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير، 1989م، ط4، 2005م.

3-انفتاح النص الروائي: النص والسياق 1989م، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2001م، الطبعة الثالثة 2006م.

4-الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 1992م، دار رؤية القاهرة، 2006م.

5-ذخيرة العجائب العربية: سيف بن ذي يزن، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1997م.

[1] سعيد يقطين : الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) , المركز القافي العربي , الدار البيضاء .ط1 .1997 ,ص 23 .

6-الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1997م.

7-قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1997م.

8-الأدب والمؤسسة والسلطة: نحو ممارسة أدبية جديدة، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، 2002م.

9-آفاق نقد عربي معاصر: بالاشتراك مع فيصل دراج، دار الفكر دمشق، 2003م.

10-من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي: المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2005م.

11- مقاربات منهجية للنص الروائي والمسرحي: بالاشتراك مع حميد لحمداني ومحمد الداهى "سلسلة المختار في تحليل المؤلفات (الجذع المشترك)" مكتبة المدارس, الدار البيضاء 2006م.

12-السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار رؤية، القاهرة 2006م.

13-مقاربات منهجية للنص السير ذاتي والنقدي: بالاشتراك مع محمد الداهى وميلود العثماني، سلسلة المختار في تحليل المؤلفات. السنة أولى بكالوريا، مكتبة المدارس، الدار البيضاء،2007م.

14-مقاربات منهجية للنص الروائي والنقدي بالاشتراك مع محمد الداهى وميلود العثماني " سلسلة المختار في تحليل المؤلفات " (السنة ثانية بكالوريا)، مكتبة المدارس الدار البيضاء 2007م.[1]

15-بديعة وفؤاد، رواية لعفيفة كرم: إعداد وتقديم، بمناسبة مرور قرن على صدورها في نيويورك، منشورات الزمن، الرباط، 2007م.

[1] زهيرة بارش : الدرس السردي في الخطاب النقدي العربي المعاصر .مقاربة تحليلية في نموذج سعيد يقطين – مذكرة لنيل درجة ماستر , 2010 م جامعة سطيف , ص 158 .

16- النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية: نحو كتابة رقمية عربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2008م.

17- قضايا الرواية العربية الجديدة: الوجود والحدود، دار رؤية للنشر، القاهرة،2010م.

18- رهانات الرواية العربية: بين الإبداعية والعالمية (بالاشتراك مع محمد القاضي)، سلسلة رؤى ثقافية، رقم1. النادي الأدبي بالرياض، (1432هـ-2011م).

19- السرديات والتحليل السردي: الشكل والدلالة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2012م.

20- المغرب مستقبل بلا سياسة: في الثقافة والسياسة والمجتمع، منشورات الزمن لسلسلة شرفات، الرباط،2013م.

21- الفكر الأدبي العربي: البنيات والأنساق، منشورات ضفاف، بيروت، 2014م.

22- الديمقراطية في قاعة الانتظار: اكراهات التحول الاجتماعي المغربي، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، الرباط، 2014م.[1]

ثانيا_ في علاقة الواقع بالمتخيل:

ومن خلال ما سبق وبالحديث عن الحياة الخاصة لسعيد يقطين وكيف تنوعت كتاباته بربط الواقعي والمتخيل سنتطرق إلى **علائق الواقع بالمتخيل:**

فإن الحديث عن المتخيل (الأدب) يفضي إلى الكلام عن السوسيو- تاريخي، والمجال الثقافي الذي أنتج فيه، مهما تعددت المداخل وتنوعت المقاربات، لأن النص بالرغم من خصوصيته الفردية - الذاتية, فهو في الغالب الأعم إنتاج مجتمع معين، ووليد ظرف حضاري محدد، يتقاطع في أماكن عديدة مع هذا المحيط ويتفاعل معه.

والنص الأدبي ليس معلقا في الفراغ لذلك يصير كل بحث في هذا السياق من نوع الكلام الذي تتقدم فيه المقولات والنتائج، ثم يأتي البرهان عليها بعد ذلك من خلال تحليلها ومناقشتها، وكل كلام في هذا المجال ينطلق من مسبقة تكاد تكون قناعة أن الأدب ينطلق

[1] موقع الانترنت: www.said/yaktine.net

من واقع ويعبر عن واقع. وغالبا ما يكون الكلام في هذه القضايا من نوع الأسئلة في الواقعية، وبحث في تجليات المعطيات الواقعية وتجسدها خلال النصوص الأدبية.[1]

ولقد تباينت الآراء في تصنيف هذه العلاقة وذلك راجع إلى اختلاف وجهات النظر واختلاف الزوايا التي ينظر من خلالها لهذه العلاقة، ويمكن إجمال هذه العلائق فيما يلي:

1_ علاقة تلاحم:

ويمكن استنتاج هذه العلاقة انطلاقا من وظيفتها، وتتمثل في اشتراك كل من الواقع والمتخيل في تواتر الواقع في المتخيل وفي الواقع، لأن المتخيل يحيل على الواقع، والواقع يصل على ذاته هذه الوظيفة تبين تلاحم المفهومين، والعلاقات المتينة التي تربطها[2]، ويمكن تمثيل هذه العلاقة بالمعادلتين التاليين:

المتخيل ⟵ الواقع

الواقع ⟵ ذاته (السهم يشير إلى: يصل إلى)

فإذا تمعنا في النص الروائي وبنيته، وكذا العلاقات بين أجزاء النص ودلالاتها، نكتشف أن مظاهر الخطاب الواقعي تتجلى من خلال المتخيل الروائي، وهكذا يتمفصل النص الواقعي بين طيات الواقع وبنيات المتخيل، والأمر نفسه بالنسبة للتصور الرومانسي والصوفي، وذلك من خلال " النموذج التعبيري / التشاكلي " حيث الخيال والشعر إبداع ذاتي وحقيقة معرفية ووجود حقيقي، لأن هناك تشاكلا عضويا ما بين الذاتي والعالم الخارجي أي الطبيعي." [3]

2_علاقة موضوع بمحمول:

---

[1] حسين خمري: فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002، الجزء الأول، ص 41.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 43.

[3] العربي الذهبي: شعريات المتخيل، اقتراب ظاهراتي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2000، ص 327.

هذه العلاقة تتوضح من خلال المنظور السيميوطيقي؛ الذي يعرف المتخيل بأنه مجموعة من العلامات، وبذلك يكون المتخيل مرادفا لمفهوم النص ومفهوم الخطاب باعتبار أن النص الأدبي يتكون من نسيج لغوي أو مجموعة من العلامات والرموز اللغوية التي تنتظم داخل بنية فنية وذلك من أجل التعبير عن واقع معين.

ومجموعة هذه العلامات التي تمثل مفهوم المتخيل لا تساوي منطقيا الواقع باعتبار أن كلا منهما ينتمي إلى طبيعة مغايرة عن الآخر.

ويرى السيميائيون أن النص ليس هو الواقع. بل النص هو المادة التي يبنى بها هذا الواقع، وهكذا تتجلى العلاقة بين النص والواقع من المنظور المنطقي السيميائي في علاقة موضوع بمحمول إذ يكون المتخيل هو الحامل للواقع والسند الذي من خلاله يتشكل هذا الواقع[1].

وفي هذا المجال نجد "ف. أيزر" الذي يعتقد بأن الأدب لا ينبغي أن يعتبر معرضا للواقع بل هو بالأحرى وسيلة لكي يقال لنا شيء عن الواقع. [2]

3_علاقة دال بمدلول (علاقة وجودية اعتباطية):

في وجهة نظر اللسانيات، إذا أخذنا قضية علاقة المتخيل بالواقع يمكن القول بأنها تمثل علاقة الدال بالمدلول وذلك باعتبار أن الدال يمثل المتخيل أي النص الأدبي أو الرمز اللغوي ذلك أن النص الأدبي هو في حقيقته عبارة عن مجموعة من الرموز اللغوية التعبيرية أو نسيج من العلامات التي تنظم فيه بنية فنية معينة بهدف إيصال معرفة أي التبليغ والتواصل، في حين أن المدلول يمثل الشيء المشار إليه أو الشيء الذي يوحي إليه ذلك الرمز أو الواقع الذي يتكلم عنه. [3]

فعلى مستوى الدال يتقاطع المتخيل مع كل ما يجعل من موضوع أو حكاية أو حتى شيء ما أمرا مدهشا فهو في هذا المستوى يبدو كحالة تثير في الموضوع الخروج عن الذات

---

[1] ينظر حسين خمري :فضاء المتخيل , مقاربات في الرواية ص 44 .

[2] حسن نخمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، دراسة نقدية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى .2000، ص 157.

[3] ينظر حسين خمري: فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ص 50.

من خلال حالة الاستغراب أو الذهول التي تنتج عن نقل العادي نحو النادر وغير المألوف وغير المتوقع.

أما على مستوى المدلول فهو لا يرتبط بأية بنية محددة لأنه ينزلق نحو ما يسمى عادة "المعنى" وذلك بالمعنى المجازي للكلمة باعتباره توجها وتعريفا أما التوجه فيتعلق بمسار الفاعل في صياغته لما يحدث في التكوين البطيء للوعي من حيث هو مسار باطني باتجاه أعماق الذات وأما من حيث تعريفه، فمن حيث أنه يجسد المعنى الباطني للأشياء والأحداث والتي تعبر الذات العالم من أجل فهمه. [1]

أما العلاقة بينهما – الدال والمدلول –فيرى (فرديناند دي سوسير) من جهة أنها علاقة اعتباطية كرسها العرف الاجتماعي والتواضع بين متعلمي اللغة الواحدة، ومن جهة أخرى يرى أن العلاقة بين الدال والمدلول تشبه العلاقة بين وجهي الورقة حيث يصعب – بل يستحيل_الفصل بينهما[2].

ومن هنا يمكن القول إن علاقة الدال بالمدلول أو علاقة المتخيل بالواقع هي علاقة وجودية إذ يستحيل وجود أحدهما دون الآخر.

4_علاقة متبادلة:

تبتدئ هذه العلاقة في كون الواقع هو الذي يضبط آليات المتخيل ويشكله، هذا الموقف يأخذ به الفلاسفة والنقاد الواقعيون والمشددون ويسقطون من حسابهم أن المتخيل تحكمه قوانينه الخاصة بالدرجة الأولى ولا يتقاطع مع آليات الواقع إلا في نقاط محدودة. ولكن من جانب المتخيل لاحظ أنه يعيد تشكيل بنى الواقع أي إعادة صياغته وتشكيله، وبهذا فإن المتخيل يأخذ من الواقع مادة قبل أن يأخذ منه صورة وشكلا، والمتخيل من جهة أخرى يمثل جانبا من جوانب الواقع وأحد مكوناته، فالمتخيل على الرغم من كونه مكونا من مكونات الواقع فهو يؤثر فيه ويحدث خلخلة في بنياته.

---

[1] آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل الطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2006 ص 18.

[2] المرجع السابق، ص 50.

وانطلاقا من هذه الملاحظة أي ارتباط المتخيل بالواقع فإن "هيجل" (1770 – 1831م) قسم التاريخ البشري إلى ثلاث مراحل:

المرحلة اللاهوتية (الإغريقية): حيث ساد فيها الفكر الوثني والسحري وارتبطت الممارسة الفنية بالطقوس الوثنية.

المرحلة الرمزية (القرون الوسطى): وفي هذه المرحلة سيطرت الكنيسة على نشاط الحياة وذلك من خلال الرموز الدينية والثقافية.

المرحلة الواقعية (الصناعية): وقد ساد فيها الفكر الوضعي المنطقي.

وقد لاحظ " هيجل " ارتباط كل مرحلة من مراحل التاريخ البشري بنمط الإنتاج الأدبي[1]، باعتبار أن الأدب هو العامل الأساسي من العوامل الفعالة والفاعلة في حركة التطور الاجتماعي على كل المستويات، وإذا كان العمل الفني ينبع نتيجة جهد فردي بصفة عامة فالعمل الفني الحقيقي هو نتيجة جهد فردي حقا، لكن حصيلته الفكرية مستمدة من علاقة الفنان بالمجتمع الذي يعيش فيه، في انسجامه بأفراد المجتمع واحتكاكه المستمر واليومي بكل صغيرة وكبيرة فيه، والتقاط كل التفاصيل اليومية.[2]

ومن هنا يرى " هيجل " أن النتاج الأدبي المهيمن على المرحلة الأولى أي المرحلة اللاهوتية هو الملحمة، وذلك باعتبارها تمثل فلسفة وموقفا من العالم، فكل أشياء الفكر الأسطوري الوثني تمثل ضمن محور هذه الفلسفة من خلال ذوات إلهية وأنصاف إلهية.

في حين أن المرحلة الثانية الرمزية غلب عليها الطابع الشعري لأنه يمثل لغة رمزية تتخذ من الرمز اللغوي أساسا في التعبير عن الواقع.

---

[1] ينظر المرجع السابق نفسه ,ص 54 .

[2] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر، دراسة نقدية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1985، ص 70.

بينما يغلب على المرحلة الثالثة الصناعية الإنتاج الفني الواقعي الذي يحتكم إلى العقل الوضعي المنطقي وباعتبار الرواية هي أحسن ممثل للواقع وللطبقات الاجتماعية الدنيا، فقد سادت في هذه المرحلة كونها الجنس الأدبي الملائم لها.

يذهب أصحاب المذهب الاجتماعي التاريخي إلى ربط الأشكال أو الأجناس الأدبية بحركية المجتمع والحقب التاريخية باعتبار أن الشكل الأدبي هو شكل تاريخي اجتماعي.

إلا أن هذه الاعتبارات النظرية لا تصح إلا في حال استقرار الأشكال الأدبية واستقرار تقاليد الكتابة فيصبح كل شكل أدبي يشير إلى مرحلة تاريخية واجتماعية معينة وبذلك يستطيع متتبع التاريخ أو تاريخ الأدب أن يربط بين أشكال الأدب وأشكال التاريخ أو على الأقل المراحل التاريخية، باعتبار أن لكل جنس أدبي ظروفه وملابساته التي ساعدت على ظهوره وتطوره [1].

5-علاقة جمالية:

يذهبّ " عبد المنعم تليمة " إلى اعتبار الأدب والأفكار صورة لهذا الواقع، ذلك لأن الأدب نتاج اجتماعي والأديب نفسه وليد البيئة التي تنشأ فيها وترعرع في أحضانها وصور الأديب وخياله ومشاعره ومزاجه الفكري تستمد من واقع المجتمع الذي نشا فيه فالأديب وليد المجتمع الذي أثر فيه ثم عاد ليؤثر فيه بدوره عن طريق الكتابة.[2]

ف"عبد المنعم تليمة "يرى أن هذه الأفكار والصور ليست موجودة خارج ذواتنا، لأن الموجود خارج ذواتنا هو موضوعيا مفردات العالم، الواقع وظواهره وأشياؤه وأحياؤه، بل تلك الأفكار تمثل صورة هذا الواقع.

وهذا يعني أن "تليمة" يذهب إلى مرآوية الأدب واعتباره صورة من صور الواقع في حين أن العلاقة بين الأدب والواقع أو المتخيل والواقع هي علاقة تقاطع بين عالمين, لكل منهما دلالاته المنفردة فهو يعتبر أن معرفتنا بالواقع هي معرفة جمالية، حيث أن الصلة الجمالية

---

[1] ينطر حسين خمري: فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ص 55 , 56.

[2] عمر الطالب: الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى ,1971 , ص 83.

بالواقع تثمر معرفة جمالية بهذا الواقع ،فالإدراك الجمالي للواقع يثمر معرفة جمالية بهذا الواقع ومن هنا تصير علاقة المتخيل بالواقع علاقة جمالية , وتصبح وظيفة الفن والأدب هي تحقيق التناغم والانسجام من خلال التشكيل الفني باعتباره يمثل سبيل الفنان إلى إعادة ترتيب الأوضاع في عالمه النفسي، وإلى بناء العلاقات في عالمه الواقعي وبالتالي الوصول إلى واقع نفسي وروحي واجتماعي أكثر، كمالا وتناغما وانسجاما، ويصبح من مهام عالم الجمال والنقد الدلالة على الواقعي من خلال قرائن تشكيلية .

ومن خلال وجهات النظر التي يعرضها " عبد المنعم تليمة " يمكن القول أن وظيفة الفن أو الأدب هي وظيفة اجتماعية بالدرجة الأولى وهكذا تبدو العلاقة بين "الواقعي" و"الجمالي" (الخيالي) علاقة مرآوية ولا يصبح الفن إلا مرآة عاكسة لصورة الواقع في المرحلة الأولى، لتتحول هذه العلاقة في مرحلة ثانية إلى وظيفة تشكيلية من خلال بناء العلاقات للواقع الذي يعرض له الفنان · وعن أثر الواقع في تشكيل النص الأدبي نجد " جان موكاروفسكي" يبرز هذا الأثر عند تعرضه لعلاقة المتخيل بالواقع، حيث يعتبر النص الأدبي جزءا من الواقع، ويؤكد على واقعيته إلى حد التطابق بينهما، باعتبار أن النص واقع يشهد على تقاليد ومفاهيم عصره وقيمه, غير أن إبداعية النص تكمن في تحويل هذه التقاليد والمفاهيم والقيم إلى صور وذلك عن طريق المحاكاة ومن هنا يتبين أن مفهوم النص الأدبي عند (موكاروفسكي) يقوم على مستويين يبرز من خلالها العلاقة بين المتخيل والواقع وهما :

المستوى الأول: فهو اعتبار النص الأدبي حدثا اجتماعيا وذلك لأنه إنتاج المجتمع الذي ولد فيه، فهو يعبر عن علاقات اجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بظروف حضارية وتاريخية متميزة.

المستوى الثاني: وذلك من خلال اعتبار النص الأدبي رمزا فنيا له استقلاليته عن الرموز التعبيرية الأخرى مع ضرورة انتظامه داخل نسق ثقافي أوسع للقيام بوظيفته، مما يتطلب النظر في تقاطعه مع الرموز الثقافية وكذا في خصوصيته التعبيرية. [1]

[1] حسين خمري: فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ص 50.

وفي المجال نفسه نجد الدكتور "لويس عوض" الذي يرى أن النص الادبي مرتبط بالواقع والحياة حيث يربط بين الظاهرة الأدبية والظاهرة الاجتماعية بمختلف جوانبها سواء السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية ويركز اهتمامه نحو توجيه الأدب والفن إلى الحياة .. "[1]

6_علاقة تعارض:

تنتج هذه العلاقة عن اعتبار المتخيل بأنه بناء ذهني أي إنتاج فكري بالدرجة الأولى، أي ليس إنتاجا ماديا في حين أن الواقع هو معطى حقيقي وموضوعي وهذا يبين طبيعة كل من المتخيل والواقع القائمة على التعارض بين فكري / ذهني، وحقيقي / موضوعي.

فمن خلال هذين التعريفين للمفهومين _المتخيل والواقع_ من زاوية طبيعتهما، يبرز التعارض الظاهري بينهما بناء ذهني / معطى حقيقي، وبين ذاتي إبداعي / موضوعي انطولوجي، هذا التحديد يضع المفهومين في قلب الإشكالية الميتافيزيقية القائلة ببناء العالم على عدد من الثنائيات الضدية: الخير / الشر، المادي / الروحي، الحقي / الجلي ...

فالواقع هو معطى حضوري يمكن أن يدرك بالحس، وتلمس آثاره بالملاحظة العينية، في حين أن المتخيل بناء ذهني خفي لا يدرك إلا بإعمال الفكر والنظر، عدا المواد التعبيرية التي يستعملها: الرموز البلاستيكية في الأدب، الحروف والكلمات.

إذا ومن خلال البحث في علائق الواقع بالمتخيل يمكن الخروج بأن الأدب لا يصف الواقع لأن الواقعية التسجيلية هي محاولة احتذاء نسق العالم على منواله وبالتالي إصدار حركيته التي تتولد عن صراع الأضداد والمتناقضات ومن ثم فإن الوظيفة الرئيسية للأدب هي الكشف عن العلاقات التي تحكم الواقع، باعتبار أن الواقع هو ذلك الحيز الذي تنتج فيه مجموعة من العلاقات التي تحدد هوية المرحلة التاريخية، وتشهد على الوضع الحضاري الراهن ولا تتحد قسمات الواقع بالكشف عن هذه العلاقات التي تشكل في مجموعها بنية المجتمع[2].

---

[1] المرجع السابق , ص 60 .

[2] عصام محمد الشنطي , الجمالية والواقعية في نقدنا الأدبي الحديث , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , الطبعة الأولى , 1979 , ص65 ,66.

كما أن النص عموما لا بد أن يتأقلم مع المحيط الثقافي المتواجد فيه على اعتبار أن النص ما هو إلا نتاج للثقافة المتربع على أرضها بل هو إفراز لها.

ومن هذا كله لا ينبغي أن يكون الخيال مقيدا في أي فن من الفنون الأدبية والكاتب أو الناقد يستطيع أن يتعامل مع الخيال بأسلوب شفيف ويستخدمه كأداة من أدوات العمل الفني في سبيل إيصال سيرته الذاتية بشكلها الواقعي الحقيقي بما تحتويه من أحداث وتجارب وخبرات في أبهى حلة وأعذب مضمون وأعمق تأثير.

الفصل الأول

في مفهوم الواقعي وحضوره النقدي

أولا: مفهومه اللغوي و الاصطلاحي وجدل التوظيف

1-الـــدلالة اللغـــوية

2-الدلالة الاصطلاحية

3-الـــواقع الـــروائي

ثانيا: علائق الواقع وامتداداته

1-الـواقع والفلسفة

2-الـــــواقع والـذات

3-الواقع والأسطورة

ثالثا: رؤيا سعيد يقطين النقد

أولا: مفهومه اللغوي و الاصطلاحي وجدل التوظيف:

1-الدلالة اللغوية:

ورد في لسان العرب biلابن منظور في مادة (وقع):"وَقَعَ على الشيء ومنه وَقَعَ وَقْعًا ووُقُوعًا: سقط،ووَقَعَ الشيء من يدي كذلك،وأَوْقَعَهُ غيري ووقعت من كذا وَقْعًا،ووَقَعَ المطر بالأرض،ولا يقال سقط ... ومَوَاقعُ الغيث مساقطه ويقالّ: وقع الشيء موقعه..."[1]

2-الدلالة الاصطلاحية:

خير طريق لتحديد مفهوم الواقع هو إظهار اختلافه عن المفاهيم القريبة , وأهمها مفهوم الحقيقة , حيث يعتبر مفهوم الواقع من بين المفاهيم الغامضة جدا والمستعصية على الفهم والتفسير، ويعود ذلك إلى كون معناه المتداول لا يقوم إلا على فرضية حدسية , ذلك أن تلقينا له غالبا ما يحدده تواطؤا مع منتجه والحقيقة أن (الواقع) كلمة تحمل تصورا ملتبسا , يفتقد إلى حد ضابط ويتمظهر ذلك بجلاء خلال سيرورات التواصل التي تسمح لنا بأن نجرب بعضنا البعض مباشرة، بفضل إمكانية السؤال عن المعنى الذي يقصده من يخاطبنا: فإذا حدث وتلفظ من يجادلنا بكلمة (الواقع) بدت حاملة لمعنى إمكاني يحتمل عدة دلالات...

أما في المجال الأدبي فإن الأسباب التي تجعل كلمة (الواقع) أكثر التباسا، ترتبط أساسا باستعمالها وفق المعنيين اللذين رسختهما سياقات الخطابات السطحية والعادية والإيديولوجية النفعية، وهما معنيان لا يتجاوزان حدود التوظيف الشائع، أو المعنى الأول فإنه يرتبط بالسياقات العامة، ولذلك يتماثل مع شكل حياة ما في إطار مجتمع ما، أما المعنى الثاني فيؤشر على موافقة الفعل اللغوي للفعل الواقعي مثل: قولنا " في الواقع لن أذهب" حيث يعني (الواقع) وفق هذا السياق مطابقة الفعل لانجازه[2].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة , 2004، المجلد الخامس عشر، ص 26.

[2] G.fèges écrits logiques et philosophiques seil 1971, paris .p102

و"بورس" أسند مفهوم الواقع وهو تعريف مجرد، أي أن الواقع قد أنجبس عندما اكتشفنا لأول مرة وجود اللاواقعي (الوهم) أي أننا قد اكتشفنا مع أول مرة قمنا فيها بمراجعة أنفسنا. فالواقع إذن محدود من قبله داخل فعل الزمن، لأن ختام ما يصل إليه–الآن الأخبار والتحليل والختام (أو النهاية) لا يقطن طبعا في لحظة ما ...، ومعنى ذلك أن الواقع كما يراه، مستقل بالنتيجة عن استيهاماتنا.[1]

ومن هذا فإن كل نص أديب ينطلق من واقع اجتماعي تاريخي محدد.

ومن هنا يصير الواقع موضوعا وهدفا في الوقت ذاته، ففي أدب الأمم كلها لابد أن ينصب الإبداع على موضوع وتجربة الإنسان في الواقع، وبالواقع تجليه ومرتعه، ثم ما هو أدب العرب القديم من صحاري الجاهلية إلى الضفاف الأندلسية سوى التياع العربي بمحيطه وعقيدته، وبقبيلته وخليفته وهمومه الخاصة والمنفعلة بالهم العام.

فالتجربة الأدبية لابد أن تكون حسب هذه الموضوعاتية (thématique) موضوعية لها من الدلالات والرموز والعلامات ما يجعلها ملتاعة بالواقع ناضجة بسماه، أي أن الأدب يتأثر بالواقع وبالمحيط الذي أنتجه، فهو جزء منه.[2]

3–الواقع الروائي:

ترى " جنفيف مويلد" تلميذة " غولدمان" في ترجمة " لرشيد بنحدو" لأشغال ندوة هامة، انعقدت في مستهل الستينات من القرن الماضي " ببروكسل" حول موضوع " الرواية الحديثة والواقع" بأن " الكتابة الروائية عملية بحث دائم، وهذا البحث يسعى إلى تعريه واقع مجهول والى إيجاد هذا الواقع المجهول".[3]

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص 192.

[2] ينظر حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ص 58.

[3] غولدمان، ساروت، روب كربيه، مويلو: الرواية والواقع، ترجمة رشيد بنجدو، دار النشر عيون المقالات، الطبعة الاولى، 1988، ص 11.

فهي ترى أن واقعنا المعاش هو واقع يراه كل الناس، ويدركونه بشكل فوري ومباشر، أي واقع معروف ومدروس ومحدد وبسيط، واقع اجتزته أشكال تعبيرية، حيث أصبحت نفسها معروفة ومسطحة لكثرة تداولها.

بينما تعتبر أن هذا الواقع ليس أبدا واقع الكاتب الروائي، إنه يختلف عليه تماما، فهو مجرد مظهر يوهم بالواقع.

أما بالنسبة للروائي فالواقع هو المجهول واللامرئي، الذي يراه هو بمفرده دون عامة الناس، ومما يبدوا أنه من يمكنه رصده، فالواقع لديه هو ما تعجز الأشكال التعبيرية المألوفة والمستهلكة عن التقاطه، مستلزما طرائق وأشكال جديدة ليكشف عن نفسه.

فهذا الواقع الروائي في نظرها يشكل من عناصر متناثرة في فضاء العدم، يمكن إحرازها وحدسها بشكل غامض، عناصر تتشابك بشكل معقد، لا تنبض بالحياة في كتلة الافتراضات والاحتمالات اللامتناهية وأنها تائهة وراء حجب المرئي والمبتذل والاتفاقي ... هي كامنة ومحتجبة.[1]

إن كل خطاب روائي في الأدب عامة، لا مصدر له غير الواقع الذاتي – الاجتماعي – الموضوعي. ولهذا فالخطاب الروائي رغم خصوصيته الإبداعية خطاب واقعي المصدر والدلالة، وإن لم يكن واقعيا بالمعنى الاصطلاحي للأدب الواقعي والخطاب الروائي واقع متحقق في حياتنا نمارسه إبداعا وتذوقا وهناك في الحقيقة واقعان لا واقع واحد، على الأقل في هذا المجال الذي نتحدث فيه، أي أن واقع الخطاب الروائي نفسه. وهناك الواقع الإنساني الخارجي بكل ما يحتدم به من حياة وإنتاج وممارسات، وإن يكن الواقع الروائي جزءا منها[2].

ولذلك بقدر ما يكون الواقع جديدا يكون النص الأدبي الذي يكشف عن هذا الواقع ذا شكل شاذ وغير مألوف مثلما يكون ذا تأثير عميق يسمح بهتك ذلك الستار السميك، الذي يقي

---

[1] ينظر المرجع السابق نفسه، ص 12.

[2] حسين خمري: فضاء المتخيل ، ص 41.

طرائق إدراكنا وإحساسنا من كل أنواع التشويش والانحراف، هذا الستار الواقي يشكل من تلك الرؤية الخادعة التي توهم بالواقع، والصورة الجاهزة التي تحول في أي وقت بين القارئ والواقع الجديد والذي يكشف عنه النص مثلما تحول بين الكاتب والواقع الذي يريد الكشف عنه.[1]

وخلاصة الأمر، إن الأدب والفن عامة، والخطاب الروائي بوجه خاص، هو بنية حية تزخر بكل ما تمثله البنية الحية من تشكيل ملتحم التحاما عضويا بمادته وبوظيفته الفاعلة المؤثرة، وهو معلول للواقع وإن يكن قيمة مضافة إلى هذا الواقع نفسه سلبا أو إيجابا، وإنه لو صح التعبير بنية بيولوجية التكوين نفس–اجتماعية التخلق.

[1] قذيفة فريحة: الواقع والمتخيل في رواية فرسان الأحلام القتيلة لإبراهيم الكوني، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2013 ص 4.

ثانيا: علائق الواقع وامتداداته:

1/ الواقع والفلسفة: إن موضوع الفلسفة كما كان يراه" هيجل" هو الواقع في شمولية، قد تبدوا هذه الفكرة لأول وهلة موغلة في التبسيط والبساطة، لكن الأمر يبدوا على غير ما هو عليه ظاهريا دائما تطرح مسألة تحديد المقصود بالواقع، فبقدر ما يظهر المفهوم طافحا بوضوح وبداهة دلالته ومعناه بقدر ما ينطوي في نفس الوقت على حصته من الغموض الآسر، والكثافة الدلالية والمفهومية المتحجبة بالضبابية والالتباس , لذلك شكل الخوض في تحديد مفهوم الواقع من حيث كونه إحالة على الوجود العيني المباشر فحسب, بل اعتباره مفهوما إشكاليا متفتحا على مستويات قرائية واستقرائية وتأويلية واسعة .

وبصرف النظر عن التباين المحتمل في اقتراح تعريف إجرائي مقبول للواقع , يمكن القول أنه يحيل على مجموع الأشياء الواقعة موضوعا عينيا مباشرا لفعل الوجود والكينونة , فالواقع هو الموجود ثمة أصلا بتعبير "جاك لا كان".

ومن هذه الزاوية يبدو مفهوم الواقع إحالة على التحقق الملموس للأشياء والظواهر التي تستجليها الذات الواعية، من خلال عملية الاحتكاك الواقعي والملموس للمواضيع والمظاهر والظواهر في أبعادها وتحقيقاتها وتمفصلاتها القابلة للترتيب في الوعي والإدراك وذلك بالنظر إلى أن الإدراك هو تمثل حقيقة المدرك.

ومعنى هذا أن الإدراك هو المرض الرئيسي لتخثر انعكاسات الواقع في الوعي والكيان وجريه على اللسان وبما أن الإدراك خاصية إنسانية عامة وحاضرة على مستويات متفاوتة لدى كل الناس فإن الواقع يقع ضمن حيز المدركات التي لا تحتاج مبدئيا لمبالغة كبيرة في التوضيح أو استغراق كثير من التفسير لهذا يقيم "ديكارت" علاقة مباشرة بين الواقع والوجود والكينونة، ويصف مفهوم الواقع ضمن المفاهيم شديدة الوضوح في ذاتها لدرجة أن كل محاولة لتوضيحها أكثر تقود بالضرورة إلى إغراقها في الغموض.

ففي مجال العلم والفلسفة تتوالى النظريات بحثا عن فهم أفضل للواقع وتطلعا إلى الإمساك الأنسب والأقوم بحقيقته التي لا تبدو أبدا حقيقة محسومة مستنفذة ونهائية.

2/ الواقـع والـذات: إن الواقـع حيـث هـو معطـى سـابق عـن الرغبـة لا يمـنح نفسـه كموضـوع للـوعي فقـط بـل يـوفر للـذات فـي نفـس الوقـت إمكانيـة إعـادة تفكيـك رمـوزه واسـتبطان دواخلـه واستجلاء المستتر تحت سطحه، والمتخفي وراء إهابه وذلك بغية إعادة بناء مداراته وتشكيل حدود حضور الذات فيه، ومن خلاله فإن مقومات ومحددات المثقف والمفكر والعالم يوجد مقوم الوعي الناضج بالواقع، أي معرفته معرفة خبرة وقرب معايشة، وتحليل ونقد وموقف.

إن الواقـع يطـرح نفسـه فـي مختلـف تخفياتـه وتجلياتـه وحالاتـه وتحولاتـه كمعطـى لكـل خبـرة إنسانية، فهو المضمار الذي منه تنطلق حركة الفكر وفيه تحل وإليه تؤوب وتصل. [1]

3/ الواقع والأسطورة: إذا كان الواقع معطى قائما في حد ذاته وصفاته، بصرف النظر عن احتمال جهله أو إدراكه، فإن الخطاب حول الواقع هو ارتقاء بالإدراك إلى مستوى الصياغة اللغوية، أو التشفير الرمزي المواكب، والمترتب عن صيغ الوعي التي يفرزها احتكاك الذات بالموضوع، ويختلف الخطاب حول الواقع باختلاف الزاوية التي منها تنظر إليه، أو نتقصده كموضوع للوعي، وكمادة للخطاب. فبالموازاة مع الخطاب العلمي الذي يرتهن في تعامله مع الواقع بمحدداته وتشريطات المقتضيات العقلانية، يحضر نوع آخر من الخطاب اللاعقلاني، الـذي يبـين عناصـر وعيـه بـالواقع، انطلاقـا مـن محـددات مسـتوفية لمـا هـو خـارق وخرافـي، ومستوفية في نفس الوقت لما هو دال ومعبر عن الوجود الإنساني بمأزقه ومزالقه وتصدعاته وتطلعاتـه وأسـئلته، ويقصـد بـه الخطـاب الـذي يتخـذ مـن الأسـطورة صـيغة تفسـيرية وتمثيليـة لبعض جوانب الحياة والعالم والواقع فهي تحضر كخطاب تفسيري لإضاءة بعض القضايا الفلسفية المرتبطة بالمعرفة والواقع، كما تحضر أيضا كسند معرفي وتفسيري في العلوم الإنسانية كأسطورة " اوديب" ومن هذه الزاوية يبدو أن الأسطورة رغم لاعقلانية خطابها تجد لها مكان ضمن الخطاب العلمي والفلسفي[2].

---

[1] Http//www.ahwar.org/debat/show.art (h11:23 2013/01/17).

[2] قذيفة فريحة : الواقع والمتخيل في رواية فرسان الأحلام القبيلة لإبراهيم الكوني ص 3 .

ثالثا: رؤيا سعيد يقطين النقدية:

يعد سعيد يقطين من الوجوه العربية البارزة في ساحة النقد الأدبي ، يهتم بشكل خاص بالمجال السردي بمستوييه القديم والحديث ، وقد صدر له في هذا المجال مجموعة من الكتب المتميزة هي على الشكل التالي "الكلام والخبر"،" قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)" ،" السرد العربي مفاهيم وتجليات"،" تحليل الخطاب الروائي"، "انفتاح النص الروائي" ،" الرواية والتراث السردي "،ومنذ انطلاقة سعيد يقطين التي تميزت بعمقها الفكري وهو يسعى لإقامة مشروع نقدي شامل يختص بالمجال السردي دون سواه من الأوجه الإبداعية الأخرى ، ذلك أن هذا المجال لا حدود له [1]، في القصة والرواية وحتى الشعر ، ولأن الرواية من أكثر الأشكال الأدبية تداولا وانتشارا ويرجع ذلك إلى أنها تضع للقارئ عالما مسبوكا بطابع سردي مشوق ينتقل فيه الراوي من العالم الواقعي إلى عوالم أخرى خيالية موازية له وهي في كونها نقد له بطريقة فنية وأدبية تنتقل الحقائق والخيالات في شكل يرتقي بالأدبية النصية إلى الشعرية النصية .

" وبذلك تكون الرواية قد قامت بعملية استنطاق للواقع المعيش وتنديدا بما يكبله في مقابل التاريخ الذي يحاصره التشبع والرقابة سواء تاريخ الحاضر أو الماضي ..."

ومن خلال هذا يقدم لنا سعيد يقطين رأيه عن الواقع الروائي في كتابه " انفتاح النص الروائي " ولكن الواقع الذي قصده في الرواية قد يلعب التخيل في ذلك نفس الدور ولأن مجال التخيل واسع في استنطاق الحوادث والقصص[2].

وفي مجال الواقع سئل سعيد يقطين في حوار شامل حيث قيل: كيف ترى واقع الرواية العربية ومستقبلها؟

واقع الرواية هو واقع الروائي والقارئ وعندما يستند أفق "الإبداع" أما الكاتب وهو يرى المجتمع ينغلق عليه باب السرد، ونفس الشيء نقول عن القارئ، الروائي الحقيقي لا ينتظر من السياسي أو الايدولوجي أن يقدم إليه رؤية عن العالم ليقدمها هو بطريقته التي تتناسب

---

[1] مجلة أفاق العلم , نور الدين محقق ,21 ديسمبر 2006 .

[2] سعيد يقطين : انفتاح النص الروائي , المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء , المغرب .ط 3 , 2006 , ص 128 .

في التعبير، يمكنه أن يقوم بهذا العمل إذا أحسن الإنصات إلى نبض الواقع ولم يبق عبد الأحداث السياسية المتلاحقة.

ما يقع في عالمنا العربي إذا تتبعناه بعين من لا يرى بعيدا ولا يتأمل خلف ما يجري لا يمكنه إلا أن يستسلم ويحس بالعجز وهذا هو الواقع، ولذا أرى أن الرواية العربية بدأت تفقد بريقها العام، الرواية التي لا تفتح أمامي شعاعا للأمل، وتدفعني إلى التفكير بطريقة تختلف عما تقدمه لي وسائل الإعلام. ليست جديرة بهذا الاسم وأرى أن مستقبل الرواية العربية رهين بإعادة التفكير في الواقع وبطريقة جمالية فيها الكثير من الدقة والعمق[1].

حيث لاحظ أيضا سعيد يقطين عند مقارنته لزمن القصة في الخطاب التاريخي في (بدائع الزهور) لابن إياس أو الخطاب التاريخي في "رواية الزيني بركات للغيطاني" ما يلي:- في بدائع الزهور: يتجلى الزمن خطي تسلسلي، لأنه يقدم كما هو موجود في الواقع التجربة الذهنية عند كل الناس.

- في رواية الزيني بركات: الزمن يأخذ شيء مختلف عن طابع الواقعية بمعنى أن الكاتب يلجا إلى تقنيات "الاسترجاع والاستباق"

وإن الواقع الروائي كما يراه " محمود أمين العالم " هو إعادة إنتاج لمعطيات الواقع الخارجي وخبراته الجمة المعاشة بالمنطق الخاص للخطاب الروائي[2]. هذا الأخير عرف تحولاته من خلال رؤية الروائي للواقع الذي يتحرك فيه ومن ثمة ألقى بظلاله على التجربة فكانت التنويعات الشكلية شديدة الصلة بأنماط الوعي المواكبة لمختلف التحولات فتفاعل معها الروائي بحس المبدع ورؤية المتابع المفكر كما يقول سعيد يقطين.[3]ومن خلال كتاب له حيث يقول فيه "... إن هدفنا الأساسي من البحث عن التفاعل النصي ما دمنا نرى أنه ضرورة كما وضحنا ذلك في مقدمة هذه الدراسة يكمن في محاولة التساؤل عن مدى إنتاجية

---

(1) مجلة دفاتر الاختلاف الالكترونية , إعداد كمال الرياحي 2011/6/21 http // mg .over .blog.com

(2) ينظر محمود أمين العالم ,يمنى العيد نبيل سليمان : الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية ص 14

(3) سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، منشورات الاختلاف. ط1، (1433هـ _ 2012 م)، ص 96، 97.

النص المتفاعل مع غيره وقياس درجة الإنتاجية هاته يرتعنا إلى قدرة المتفاعل النصي وأي تفاعل مع التراث لا يمكن أن يكون منتجا إلا إذا كان يتفاعل تفاعلا ايجابيا مع واقعه بمعناه العام : أي الواقع الذاتي الذي لا يزال يتفاعل مع التراث باعتباره امتدادا ثقافيا وروحيا ومع الواقع العام أي العصر الذي تنتج فيه متفاعلات نصية جديدة ومستمرة لتوضيح هذه الفكرة ، نقد هذه الخطاطة التي يتجلى من خلالها علاقة "المتفاعل الزمني" بـ "النص" بربطها بالزمن الثقافي والزمن الواقعي على هذا النحو ":

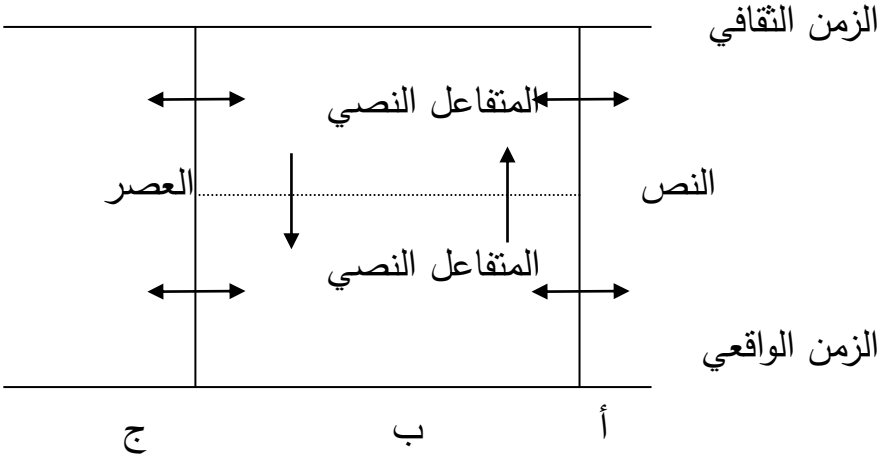

* النص = التراث.

* المتفاعل النصي = النص العربي الحديث.

* الواقع الذاتي = المجتمع العربي الحديث.

* العصر = العصر الحديث.

يبدو لنا من خلال هذه الخطاطة أن هناك مسارين يتجليان فيما أسميناهما بالزمن الثقافي والزمن الواقعي. يتشكل الزمن الثقافي من تراكم نصوص في التاريخ بناء على العلاقة التي يقيمها هذا الزمن من الزمن الواقعي[1].

وموقف سعيد يقطين في كتابه الكلام والخبر نجد:

نلاحظ بجلاء أن رأي محمد عبده يقوم على نفس الأسس السابقة، فهناك من جهة الصدق ومن جهة أخرى الكذب، ومن خلال هذه الثنائية نلمس تشديدا كبيرا على مبدأ

(1) سعيد يقطين : الرواية والتراث السردي , من أجل وعي جديد بالتراث , رؤيا للنشر والتوزيع , القاهرة,ط1 ,2006 ص 229 – 230 .

المطابقة للواقع، فما هو مطابق للواقع مقبول ومحمود، وما " ينبو عن الواقع" مرفوض ومذموم. وهذا المبدأ الجوهري هو الذي على أساسه نجد التمييز بين النص واللانص لأنه يتضمن الأبعاد الحقيقية لتمثل العالم ورؤيته في المنظور العربي القديم، لذلك سنجعله نقطة ارتكاز في تحليلنا للسيرة الشعبية، لتجسيد الرؤية المقابلة لتمثل العالم وتمثيله من خلال " اللامطابقة" التي تزخر بها السيرة الشعبية، وهي التي حددت كونها لا تدخل في نطاق النص. [1]

إن موقف العديد من النصوص التي أنتجها العربي واضح وجلي، فهو ينعتها " بالكذب الصرف"، لأن هناك صدقا صرفا (النص) وفي اعتباره هذه النصوص كذبا، واتخاذه منها موقف سلبيا نجد تأكيدا لما سبق أن رأينا مع كتاب البرهان وكتاب القصاص والمذكرين وسواهما، ولو أردنا استنتاج أهم مواصفات هذه النصوص المرفوضة من خلال قولته الأخيرة، لوجدنا أنفسنا أمام النقاط التالية:

1/ المطابقة: هذه النصوص " غير مطابقة للواقع ".

2/ السخافة: فهي مكتوبة بعبارة سخيفة ومخلة بقوانين اللغة.

3/ التداول: إن كون هذه النصوص تتداول بشكل كبير، وتنفق طبعاتها بشكل مذهل، لا يمكن تفسيره ضمنيا، من خلال السياق، إلا بسبب ابتعاد الأمة عن الجادة وكون الجميع في غيهم يعمهون. [2]

ونجد موقف سعيد يقطين من الواقع واضح في كتابه " **السرد العربي مفاهيم وتجليات**"بين الواقع والتصور مسافات ... تتجاور في واقعنا العربي أقصى درجات العتاقة، مع أقصى درجات الحداثة، وبينهما درجات من هذه وتلك أما في التصورات التي تتقدم إلينا من خلال العديد من الأطروحات، التي لا تخلو من الجدة والفائدة في أحايين كثيرة. فالواقع يجسد كما

---

[1] ينظر سعيد يقطين : الكلام والخبر , مقدمة للسرد العربي ,ص 67 .

[2] المصدر نفسه ص 68.

نريده أن يكون، ولم يكن، أو كما تأمل أن يكون وليس بكائن ... إنها في تقديري مشكلة " الوعي بالزمان".[1]

بين أن ما هو سردي مباشر يمكننا استنتاجه من خلال استعمال خاص لمفهوم "الخبر" فهو يستعمل أحيانا بمفهوم عام الدلالة على كل ما يرتبط بالحوادث والأفعال والأقوال في علاقتها بشخصيات علمية مثل النحويين واللغويين و سواهم، أما المعنى الخاص، فيبدوا لنا من خلال دلالته على وقائع ذات بعد تاريخي ما دامت تتصل بشخصيات لها موقع خاص داخل المجتمع (الملوك، الحاشية ... أو بشخصيات تلعب دورا في إنتاج " الخطاب السردي"، الإخباريون، الرواة، المسامرون،،،)، وتبعا لهذا التمييز يمكننا التفريق بين نمطين من الأخبار: واقعي وتخييلي.

يبدوا لنا النمط الأول من خلال الأخبار المتصلة بالملوك والكتاب والندماء والجلساء، لأنه يسجل لنا نوع الأخبار الواقعية سواء كان وقوعها في أزمنة قديمة، وهي بذلك تنتمي إلى التاريخ، أو إلى الواقع الحالي الذي تعيش فيه الشخصيات، ونجد الأمثلة التي يقدمها لنا ابن النديم دالة على ذلك: أخبار ابن إسحاق لصاحب السيرة، عبيد بن شرية الجرهمي هشام الكلبي، الواقدي. [2]

في الجهة الأولى تنظر في الكلام من خلال علاقته بالتجربة الإنسانية، وفي مدى مطابقتها للواقع ولا ينتج لنا هذا التمييز بين الأليف والعجيب، يتحقق الأول عندما تكون المطابقة مع الواقع (الواقعي)، ويبرز الثاني عندما لا تكون المطابقة بسبب الانزياح الذي يحدثه التخيلي (العجيب)، وعندما ننظر في حكاية " جريح الزاهد" من هذه الجهة، نجد في كلام الصبي ما يحقق عدم المطابقة، في حيث نجد خبر " بناء الجدار" ما يثبت صلة السرد بالواقع.[3]

---

[1] سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 25.

[2] المصدر السابق نفسه، ص 119.

[3] المصدر نفسه، ص 180.

والسيرة إضافة إلى هذا غنية بالعوالم التي يمكننا من خلال قراءة متأنية وجديدة أن نكتشف عنها بالصورة التي تساعدنا على توقيف رؤيتنا للسرد العربي ولمختلف أشكال التخييل والتخيل العربيين، وبما يزخران به من تصور للواقع والعالم.[1]

أما في كتابه" **قضايا الرواية العربية الجديدة**" الوجود والحدود فنجد قوله:

تأثرت الرواية بالوسائط الجماهيرية (الصحافة) في بداية أمرها، واستفادت من تقنيتها في نشر " المادة الخبرية أو الحكاية". مكان الراوي، رغم البعد التخييلي الذي يطبع عمله يتوخى، ما أمكن تمثيل الواقع والتعبير عنه لذلك نجد " البعد الواقعي" هو ما يسم عمل الروائي بالدرجة الأولى، إنه يخلق واقعا خياليا لكن له كل مقومات الواقع الحقيقي، ويمكننا أن نجد ذلك بجلاء في قيام الروائي بالعمل التوثيقي للمادة التي يريد صياغتها في اختراع عوالمه التخييلية أو إنتاجها، فهو يزور المواقع التاريخية والمواطن التي سيتحدث عنها لإخفاء بعد واقعي على مادته مهما كانت طبيعتها أو زمان تحققها.[2]

حاولت القصة في هذه الحقبة الثانية أن تحدد لها صيغتها النوعية الخاصة، وتعين لها مقوماتها الحائزة تحت عنوان كبير هو الالتزام بالواقع والواقعية من منظور ثوري (الواقعية الاشتراكية)، يبدو لنا ذلك بجلاء في التحامها بالواقع ومشاكل المجتمع المختلفة، سياسيا واجتماعيا (على مستوى المادة الحكائية) وفي اعتمادها البناء الخطي (على مستوى الخطاب)[3].

تطور الخطاب الروائي العربي واغتنى بمجمل التقنيات الموظفة في الرواية في تماس مع تحولات الواقع العربي وتأتي بالخطاب الروائي عرف تحولاته من خلال رؤية الروائي للواقع الذي يتحرك فيه , ومن ثمة ألقى بظلاله على التجربة فكانت التنويعات الشكلية شديدة الصلة بأنماط الوعي المواكبة لمختلف التحولات، فتفاعل معها الروائي بحس المبدع ورؤية المتابع المتفكر، وقدم ممارسة كتابية تبين عمق الصلة مع الواقع، ولكن بطريقة خاصة

---

[1] سعيد يقطين: السرد العربي, مفاهيم وتجليات, ص 308.

[2] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ص 39.

[3] المصدر نفسه، ص 62-63.

تكشف بالملموس أن تاريخ الأشكال السردية التي عرفها الخطاب الروائي العربي هو بإحدى الصور تاريخ تحولات المجتمع العربي ،أو على الأرجح تاريخ الوعي به كما يتقدم من خلال الكتابة الروائية.[1]

تتداخل علاقة الكاتب بالواقع تداخلها بالنص الروائي (السردي) في وعي الكاتب أو لاوعيه فينجز خطابه وهو يتساوق في آن معا مع الواقع والنص وهذا التساوق وطريقة ممارسته هو ما يحدد سيرورة الكتابة ومجمل تحولاتها لأن ما أسميناه "النص " هو بدوره يتحول في علاقته مع الواقع العام الذي يسير في مجراه.

إن الواقع الذي نتحدث عنه هنا هو في آن معا:

أ- واقع المجتمع العربي في مختلف تجلياته ومشاكله المتعددة.

ب- واقع الأحداث الكبرى التي تقع خارج العالم العربي ويكون لها تأثيرها المباشر على الواقع الاجتماعي الذي ينتمي إليه الروائي، وبما أن النص الروائي العام يتأثر بدوره بواقع الأحداث الكبرى التي تجري على الصعيد العالمي فإنه يجسدها وهو يتحقق بدوره في سياق التحولات العامة التي تقع على هذا الصعيد. [2]

لقد وقف بعض الروائيين في تجسيد هذه المرحلة بناء على تراكماتهم النصية من جهة، ومن خلال الموضوعات التي عالجوها وكانت لهم طريقة محددة، وأسلوب خاص يكشف عن موهبتهم وعمق اتصالهم بالواقع الذي يمثلونه، ويمكن اعتبار نجيب محفوظ خير ممثل لهذه المرحلة سواء من خلال رواياته التاريخية أو الواقعية أو الرمزية.

إن الروائي وهو يبني "قصة"، يشيد عالما له بداية ونهاية هذا العالم المتخيل هو بشكل أو بآخر صورة عن الواقع كما يتحسب من خلال الوعي به من لدن الكاتب، ومعنى ذلك أن منطق القصة الداخلي هو منطق الواقع، وإثارة الانتباه إلى طابع التحول الذي يعرفه عالم القصة، على المحور الدلالي (البداية والنهاية)، إشارة إلى ما ينقض الواقع ليكون أفضل هو

---

[1] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ص 97.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

الإلحاح على مختلف العناصر المشوشة على منطقة (المفترض) ليكون عالما مقبولا وجميلا": نهاية المجرم، اللص، رجوع الحق إلى صاحبه في النهاية، الزواج السعيد،،،".[1]

إن الميتاروائي حين يأتي متموقعا من الحكي التقليدي، فذلك لكون الحكي يقدم صورة مشوهة عن الواقع، وهو مهما حاول ادعاء الواقعية باعتماد السند وتوجيه الحكي لاستخلاص العبرة، يظل بعيدا عن تمثيل الواقع أو حتى عن التعبير عنه، بل إن القصة في الروائي وهي تلعب على دقة التفاصيل المسجلة، وعلى رسم سيكولوجية الشخصيات ليست سوى وهم واقعي مزعوم. هذه هي الصورة التي تتقدم إلينا من خلال موقف المروي له من حكي الجدة والجد، وموقف الروائي – المتكلم من توقعات القارئ، وانتظاره الرواية بالشكل التقليدي ...

في "رحيل البحر" لمحمد عز الدين النازي ،تجدنا أمام ممارسته الميتاروائي الخاص كما يبدو في "الأبله" و "وردة" تتخذ هذه الرواية من مدينة أصيلا فضاء لعالمها السردي، ولقد سبق الكاتب المصري هو جميل عطية إبراهيم، أن عاش في هذه المدينة، وكتب عنها رواية سماها "أصيلا" ،ولما كانت شخصية محمد العربي مثقفة ولها معرفة سابقة بهذا الكاتب وروايته .يحضر الميتاروائي الخاص بين الفنية والأخرى كما اتصل الحديث بمحمد العربي وبالأخص في تأملاته وأحاديثه عن الكتابة والأدب سواء مع المروي له (الراوي)، أو بقية الشخصيات ومن خلاله تبرز رؤية الراوي من الحكي التقليدي والواقع والواقعية من خلال الموقف من الكتابة عن فضاء أصيلا.

"اخبرنا محمد العربي وهو يتأسف بأن هذه مذكرات شخصية وليست رواية لأن الحقائق فيها تلغي قوة الخيال، ولقد جعلنا ظلالا لشخصه يظهر في الضوء، ويظهرنا في الظل ..أما الرواية فهي مكامن الخيال والرؤيا، وقد يكون هذا الخيال واقعيا ... ".

إن رواية أصيلا "واقعية" وتتصل بـ "الواقع" بشكل واضح، فهو يسمي الأشياء بأسمائها هل هذا هو الواقع؟ يتساءل الميتاروائي الخاص محمد العربي يؤكد أن "أصيلا" ليست رواية،

---

[1] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود ،ص 105، 106.

إنها ليست سوى مذكرات شخصية عن المدينة، ويقدم لنا الراوي فهما آخر مختلفا للرواية، ذلك أن زعم الواقعية ليست سوى وهم لا طائل وراءه.

إذ لا يكفي أن يركز الكاتب على وصف الشخصيات والأمكنة، ويرصد أحداث متقطعة من الحياة اليومية ليقدم لنا ذلك على أنه واقع أو التزام بواقعية، فالرواية هي اللاواقع، والكتابة لرواية جديدة تفجير للخيال والرؤيا، وقد يكون هذا الخيال واقعيا... بل أكثر واقعية من الواقع!

يتساءل الراوي في " **وردة للوقت المغربي**" في معرض حديثة الميتاروائي الخاص مع القارئ، عن الرواية المنتظرة والواقعية "أي رواية؟ الذات الإنسانية المنتفخة في سطور وطوفان من التفاصيل والرتوش الواقعية؟ أي واقعية؟ أي واقع، أي صوت؟ أية حياة؟ ".

بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك مخاطبا ذاكرة القارئ وخلفيته النصية، ومعارضا إياها في الوقت نفسه: " والواقع ما هو بالضبط؟ ".

إن مختلف هذه الأسئلة حول الواقع والواقعية تبرز لنا بجلاء أننا أمام موقف روائي جديد – كما يتقدم إلينا من خلال الميتاروائي الخاص – شيء بضرورة إنجاز خطاب جديد يتجاوز الأسلوب التقليدي في الكتابة السردية هذا ما يجعل القارئ يتساءل عن الحكي التقليدي، وعن أوهامه وادعاءاته في نقل الواقع أو التعاطي معه.[1]

في "**دليل العنفوان**" و "**لعبة النسيان**" حيث تتخذ الذات تجربة الحكي والقراءة، لا يفلح الروائي في تقديمها إلا بشكل مختلف عما هو منجز وهذا ما استدعى الميتاروائي ليتخذ الموقف منهما معا، ويسعى من وراء ذلك إلى تقديم صورة جديدة عنهما أيضا.

باختلاف "**عين الفرس**" عن الروايتين السالفتين يأتي الميتاروائي ليعم تجربة الحكي يجعلها ذات بعد عجائبي، متعال عن الزمان لكن الوقائع لم تثبت صلات الواقعي بالمتخيل، والواقع بالحكي، من خلال ما جرى للراوي الذي حكى ما حكى على أنه حكاية، لكن واقع الحال يثني، وليس هذا قصدا من الراوي، أن المحكى واقع يأخذ الميتاروائي – هنا–على

[1] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ص 143.

عاتقه مهمة التفكير في مختلف العلاقات التي يمكن أن تتجسد عبرها مسافة الواقع والحكاية، يقول الفاعل الداخلي متسائلا عن العلاقات الموجودة بين الحقيقة والواقع وبين المعقول والوهم:"... كم فكرت في اختلاف حوادث لا واقعية معقولة، تكون مجرد إنشاءات شخصية لأن حوادث الواقعية والمعقول ظلت تبدو لي لا واقعية ولا معقولة بشكل تام، وكأن الأمر يتعلق بحوادث وراء هذه التي نضيع وقتنا في الاهتمام بها، وكأن هذه الحوادث التي تظهر لنا حوادث هامشية وسطحية وضعت لنا وضعا لكن بإتقان، لكي تلهينا عما هو جوهري وحقيقي ..."[1].

أما راوي السيرة الشعبية (كخطاب) فهو مثل المؤرخ التقليدي سواء بسواء , ينطلق بدوره وعلى غراره من المادة نفسها (كل المواد الحكائية) في السيرة الشعبية مبنية بصورة عامة على معطيات تاريخية وأغلب أبطالها شخصيات تاريخية: عنترة ،الملك بن ذي يزن،الملك الظاهر – بيبرس،،، لكنه يشتغل بها وفق نسق خاص ومختلف تماما إنه حرفي التعامل معها ولا تهمه درجة صحة الأحداث أو صدق الوقائع ومطابقتها لما جرى، إنه يطلق العنان لخياله مازجا بين" الواقعي" و"الخيالي" بدرجة لا يبرز فيها أي تصارع بينهما، إنهما يتوحدان في الصورة والمآل وينسجمان بكيفية لا مجال فيها بين العوالم أو الاختلاف بينها.

يضعنا القانون بصيغته المشابهة والمطابقة في ضوء مفهوم المسافة الزمانية بالمعنى الذي حددناه، بجلاء أمام اختلاف الواقعي عن التاريخي في الرواية من خلال مفارقة إبداعية تخييلية (سردية) تحدد من خلالها الرواية وتميز ضمنها بين نوعين كبيرين مختلفين:

- في الأولى نجد أنفسنا (صدفة) واقعية (الرواية اللاتاريخية).
- في الثانية أمام قصد تخييلي (الرواية التاريخية).

إن كل من الإيهامين بالواقعية والتاريخية هو موئل المفارقة التي أومأنا إليها وهي جوهر الإبداع السردي الذي يتحقق من خلال فعل التخييل حيث كل رواية تقدم شيئا، وتوحي لنا

[1] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ص 155.

بأنها تقدم غيره [1]، وإن حصروا وانتبهنا إلى ما يفيد العكس، كان الجواب الفني: إن ذلك يعود إلى الصدفة أو القصد.

يمكننا إعادة صياغة وتقديم هذا الجواب من خلا هذا الشكل:

التخييل (الرواية)

الواقع التاريخ

الصدفة القصد [2]

إن سعيد يقطين في كتابه " قضايا الرواية العربية الجديدة "يمتاز بالوضوح والدقة والوعي الكامل بالإجراء النقدي، ويتضح هذا في كيفية عرضه للقضايا وطريقة معالجته لها. وإن ما يميز النصوص الروائية العربية الجديدة هو رؤيتها للعالم، وتأكيدها أن العالم لم يعد متجانسا ولم يكن من قبل ذلك كذلك، ومن ثمة فإن الرواية العربية الجديدة أخذت على عاتقها صياغتها عناصر هذا الواقع الجديد بصورة تقدم تخلخل الركائز المنطقية لهذا الواقع عبر إعادة إنتاج اللاتناسب، وانهيار القيم وهزيمة الإنسان في مجتمعات التخلق والتبعية[3].

نجد في كتاب **عبد الله إبراهيم** "**المتخيل السردي**" حيث يقول عن الواقع:

إن تقصي جذور هذه الإشكالية يقودنا إلى أثر الموروث النقدي الذي يرى أن الأدب محاكاة للواقع، أو انعكاس له، أو تعبير عن ظواهر قائمة وبمرور الزمن فإن هذه الرؤية لم تظل كونها رؤية مفسرة للظاهرة الإبداعية فحسب، بل تجاوزت إلى اعتبار إن نظم الشيء المحاكي، مهما كان نوعه هي المقياس الوحيد للحكم على عالم الإبداع ومن هنا لم يعد ممكنا عند بعض مدارس النقد أو دارسي الأدب النظر إلى الأدب أو دراسته إلا وفق المعطيات المنظورة للشيء المحاكي، وهذا هو العالم الموجود والمرئي بالقوة والفعل.

لم يقتصر الأمر عند حدود استعارة رؤية لا علاقة لها بالعملية الإبداعية لكونها رؤية تصلح للنظر إلى قضايا الواقع وما يحتوي عليه من مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية

---

[1] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود, ص 155 -165.

[2] المصدر السابق نفسه, ص 166 .

[3] صالح فخري : في الرواية العربية الحديثة , منشورات الاختلاف ,ط1 , الجزائر , 2009 ,ص 35 .

بل إن هذه الرؤيا افتقرت إلى المنهج المعبر عنها، فلم تستطع أن تبلور منهجا منظما يتيح لها اكتناه خصوصية النص الإبداعي، ومثلما كانت هي مستعارة من حق الواقع، فقد اعتمدت على بعض خطوات غير منظمة لتوسيع مجموعة الانطباعات التي تثيرها قراءة النصوص القصصية والروائية وكانت جل ما استطاعت أن تحققه يتعلق بما تشيره تلك النصوص في نفس الناقد، وما تحيل إليه في الواقع مع كل ما يؤدي إلى الاقتراب غير المنظم إلى النص .

فقد ألبست كائنات النص لبوس كائنات الواقع، ونظمت أفكار الشخصيات على وفق ما نفكر نحن في الزمان والمكان، وبذل جهد جبار لإجراء مطابقة بين العالمين:
عالم الواقع، وعالم النص.[1]

[1] عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي. مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، حزيران 1990، ص 10، 11.

الفصل الثاني
في مفهوم المتخيل وتجلياته النقدية

أولا: مفهوم المتخيل ودلالاته

1- مفهوم الدلالة اللغوية

2- دلالاته الفنية

أ- دلالة المتخيل في الثقافة الإسلامية

ب- دلالة المتخيل عند البلاغيين العرب

ج- دلالة المتخيل في الفكر الغربي

د- دلالة المتخيل عند الصوفية

3- المتخيل الروائي

ثانيا: علائق المتخيل

1- المتخيل والعقل

2- المتخيل والشعرية

3- المتخيل والموضوع الجمالي والتلقي

ثالثا: تجليات المتخيل في تفكير سعيد يقطين النقدي

أولا: مفهوم المتخيل ودلالاته:

1-مفهوم الدلالة اللغوية:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة خيل ما يلي:

" خيل: خَالَ الشيء يَخَالُ خيلًا وخيلَةً , وخَيْلَةً وخَالاً وخيلاً وخَيْلَانًا ومَخَالَةً ومَخيلَةً وخَيْلُولَةً: ظنه ... وفي المثل : من يسمع يَخَلْ : أي يظن ... ما أَخَالُكَ سرقت: أي ما أظنك ... "

و" تخيله ظنه تغرسه وخُيلَ عليه شبه، نقول فلان يمضي على المتخيل: أي ما خيلت: ما شبهت يعني على غرر من غير يقين."[1]

واستقرار ابن منظور للفظة "متخيل" آت من استحضاره للقرآن الكريم، بحيث لا تخرج قراءة ابن منظور لهذه اللفظة عما جاء في القرآن الكريم.

لقد ورد لفظ "خَيلَ" مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: " قَالُوا يا مُوسَى إمَا أن تُلْقيَ وإمَا أَنْ نَكُونَ اول من أَلْقَى (64) قَال بل الْقُوا فَإذَا حبَالُهُمْ وعَصيهُمْ يُخَيَلُ إليه منْ سحْرهْم أَنَهَا تَسْعَى (65)." [2]

فالمتخيل من وجهة نظر " آمنة بعلي " يقع في تقاطع وتماس (imaginaire) مع مصطلحات أخرى من نفس المصدر كالخَيَال، التَخْييل، المخْيَال، إلا أن هذا الاختلاف النسبي ليس في حقيقته إلا اختلاف في الصيغ الصرفية التي تحتفظ بخصوصيتها، غير أنها تشترك جميعا في الجذر" خيل " (فالخاء والياء واللام) أصل واحد على حركة في تلون فمن ذلك الخيال والشخص وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه أنه يشبه ويتلون، ... وسميت الخيل خيلا لاختيالها ... لأن المخيال في مشيته يتلون في حركته ألوانا ويقال: تخيلت السماء إذا تهيأت للمطر وتترجم من الكلمة اللاتينية(imaginaires) التي تعني خيالي، مغلوط. [3]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامسة المادة خيل, ص 193.

[2] سورة طه: الآيتين 64-65.

[3] ينظر آمنة بلعلى : المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ,ص 17

ويعني ارتباط فعل التخيل بالفعل السحري الذي يعمل فيه فعل التأثير والتوهيم فعله في الإنسان الواقع عليه، وعن ذلك يقول ابن عربي:

" أي تخـيُلاتهمْ ووهْميـاتهمْ ... فـي التركيـب والبلاغـة وحسـن التقريـر، وتمشـية المغالطـة والسفسطة وهيئـة تركيـب القيـاس الجدلي كأنهـا تسـعى أي: تمشـي عن غلبـة الجهـال ودولـة الضلال "[1].

"أما في الحديث الشريف، فقد ورد الجذر اللغوي " خَيلَ " بصيغ مختلفة كصيغة خُيلَ، يُخَيَلُ، ويَتَخَيَلُ التي تقابل: يَتَمَثَلُ كما في الحديث الذي ضمه مسند أحمد، تحت رقم 68 71، جاء فيه:

حدثنا محمد بن فضيل حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي، وقال ابن الفاضل مرة: يَتَخَيَلُ بي، فإن رؤيا العبد المؤمن الصادق الصالحة جزء من سبعين جزء من النبوة "[2].

2-دلالاته الفنية:

من البديهي أن مقاربة مفهوم المتخيل الذي لا يعود شيوعه وانتشاره إلا إلى وقت وجيز، تفرض العودة إلى التعريفات المختلفة التي خصت بها مجموع المفاهيم القريبة منه، والتي شكلت دون شك ما قبل تاريخه الخاص، مثل الخيال والمصورة والمخيلة والمفكرة ... والوهم والوهمية والتوهم ... ولما كانت العودة الجادة إلى كل تلك المفاهيم التي شكل قياسا مناسبا لتحديده ضرورية من أجل إدراكه بشكل عميق فإن ذلك يقود إلى مساءلة تاريخية عميقة وعسيرة تلامس الخلفيات الإبستمولوجية الكامنة.

وهناك منظومة من المعارف التي قاربت المتخيل بدءا من الفلسفة القديمة ثم الحديثة إلى الشعرية بمختلف توجهاتها، وكانت لكل منها مراحل مختلفة في فهمه وتفسيره.

---

[1] المصطفى مويقن : بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة , دار الحوار للنشر والتوزيع , سوريا , الطبعة الاولى , 2005 ,ص 83 .

[2] المرجع نفسه ص 84 .

أ/ دلالة المتخيل في الثقافة الإسلامية:

لقد أنتجت الثقافة الإسلامية في إطار تقريب النص القرآني من متلقيه جملة من النصوص والتي استلهمت الأجواء القرآنية، لبناء مخيال مواز لما جاء في القرآن الكريم ....

وبهذا فقد أسهم القرآن الكريم إلى جانب الشعر العربي في إرساء أسس إسلامية، لبناء نظرية للتخيل، نجدها مبثوثة في كتابات اللغويين والنقاد والمفسرين والفلاسفة والمتصوفة ... ذلك أن عملية بناء نظرية للمعرفة لم تكن بمعزل عن العلوم المصاحبة للقرآن الكريم [1], من تفسير وأسباب النزول... فالثقافة العربية الإسلامية المحافظة وقفت من النثر موقفا واضحا أمام وجود النص القرآني، باعتباره ممثلا لقمة النثر العربي، باعتباره أيضا الكلام الأصلي، والتركيب النحوي والصرفي لله نفسه، وهو كلام يتحدث عن جميع أنماط المخلوقات أو الكائنات البشرية والعوالم والأشياء المتجذرة انطولوجيا في المبادرة الخلاقة لله.

لقد تقبل الفلاسفة المسلمون مبدأ التعارض بين العقل والتخيل، وزاد من حدة إحساسهم بهذا التعارض فهمهم الخاص لطبيعة المعرفة الإنسانية.[2]

فـ" الفارابي" مثلا يربط المعرفة بالآلة التي تستعملها قوى النفس، بحيث تقوم المعرفة عنده على درجات، فهي إما حسية وإما عقلية وإما متخيلة، حيث تقع المعرفة المتخيلة موقعها وسطا بين الحسية والناطقة فتكون المعرفة حسية في شكلها، إلا أنها غير مأخوذة من الحس في مضمونها، حيث يعتبر الفرابي هذه المخيلة أداة معرفية تقوم بالعديد من الوظائف منها: تمثيل أشياء ترغب فيها أو تخاف وقوعها، واستحضار صور الأشياء الحسية التي بقيت محفوظة في الذاكرة، وتصوير أشياء وقعت في الزمن الماضي، أو توقع حصولها مستقبلا ... هذا بالإضافة إلى التعبير عن مضامين عقلية وذلك في شكل تمثيل حسي كالتعبير عن المحسوسات بمحسوسات أخرى، وتحويل المضامين من مستوى نفسي إلى مستوى نفسي آخر ...[3]

---

[1] ينظر أمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل الى المختلف، ص 17.

[2] ينظر المصطفى مويقن: بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، ص 70.

[3] ينظر المرجع السابق نفسه: ص 104.

أما " ابن سينا " فهو يقيم علاقة بين التخييل وإثارة التعجب، وهذه العلاقة تعني أن أخيلة الشعر تثير في المتلقي إعجابا بالصور التي تبدعها مخيلة الشاعر من المعطى الحسي.

فمن خلال هذا الربط يتأكد أن ابن سينا يضع التخييل والانفعال في مساق واحد، فالتخيل من شأنه أن ينفعل له المتلقي، لأن الانفعال – على حد تعبير سارتر – يتجلى باعتباره علاقة عينية معينة لكيانها النفسي بالعالم وليست هذه العلاقة رابطة عمياء بين الأنا والكون، في بناء منظم قابل للوصف.[1]

ب/ دلالات المتخيل عند البلاغيين العرب:

تباينت دلالات المتخيل عند البلاغيين العرب، فنجد مثلا " عبد القاهر الجرجاني " يقدم تعريفا للتخييل بعد تقسيمه المعاني إلى عقلية وتخييلية بقوله: " فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وأن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي، وهو مفتن المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يحصر إلا تقريبا، ولا يحاط به تقسيما وتبويبا، ثم إنه يجيء طبقات ويأتي على درجات، فمنه ما يجيء مصنوعا قد تُلطف فيه واُستعين عليه بالرفق والحذق، حتى أُعطي شبها من الحق، وغُشي رونقا من الصدق باحتجاج تمحل، وقياس تصّنع فيه وتعّمل ".[2]

أما حازم القرطاجني " فقد حدد كيف تتم عملية التخييل وطرقها؛ والتي تتمثل في تفكر بحت أو بواسطة سماع أو مشاهدة شيء يؤدي إلى تذكر شيء آخر، أو بمحاكاة معنى معين لقول ما ساعد على تخييله، مما يعني أن التخييل عنده يقوم على أساس اختيار المعاني والألفاظ وما يناسب المعاني من سياق وصياغة تشكيلية، بحيث تجعل النفس تتأثر فيعرفه بقوله:" التخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخبل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية إلى جهة الانبساط والانقباض ".

---

(1) أمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل الى المختلف،23 ،24.

(2) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة , مؤسسة الرسالة بيروت لبنان , الطبعة الأولى .2007 ص 193 194.

من خلال هذا التعريف يتضح أن حازم القرطجني يؤكد على تفاعلية التخييل؛ ذلك أن تصور الشيء الآخر هو فعل كلام غير مباشر يتولد لدى المبدع عن فعل التخييل، مع شرط الارتباط بالحالة النفسية،

لقد صار التخييل عند القرطجني _على عكس ما هو لدى الجرجاني_ عنصرا تأسيسيا في بناء نظرية الشعر، من خلال إخراجه من الدلالة النفسية إلى الاعتناء بالأسلوب والنظام أو الوزن، مع الاحتفاظ بالأثر الحاصل لدى القارئ [1].

جـ / دلالة المتخيل في الفكر الغربي:

يجمع مؤرخو نظريات الخيال المتعاقبة في الفكر الغربي على أن مصطلح "الخيال" هو أحد المصطلحات التي انتقلت من مجال الفلسفة إلى مجال الأدب، بعد أن تحددت معالمه وقسماته في ظل مباحث فلسفية.

لقد قرن "أرسطو" حركة التخييل بحركة الشهوات والغرائز، حيث كان يرى أن قوة التخيل يمكن أن تؤدي بالإنسان – إن لم يضبطها – إلى القيام بأفعال تتعارض مع العقل وأحكامه كل التعارض، فميز بين المخيلة والاعتقاد؛ ذلك أن المخيلة ليست الفكرة وليست الاعتقاد، كما يرفض قول أفلاطون القائل بأن المخيلة مركبة من الإحساس والاعتقاد أو الظن.[2]

في حين احتفظ "كانط " للخيال على مرتبة وسطى بين المجرد والملموس؛ ذلك باعتبار الخيال إبداعا جوهريا على حد مفهوم التصور الرومانسي؛ كونه أحد العناصر التي تتأسس عليها المعرفة، وعليه فهو "يميز بين خيال معيد للإنتاج وخيال منتج، إذ هو: القدرة على تمثل الشيء في الحدس حتى في غيابه، إلا أنه وبما أن كل حدس حسي، فالخيال بحكم شرطه الذاتي الذي وحده يسمح بإعطاء مفاهيم الفكر حدسا يقابلها وينتمي إلى الإحساس، لكنه مع ذلك وبما أن تركيبه يقوم على وظيفة التلقائية وهي محددة وليست كذلك، لأنها

---

[1] ينظر أمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف،23 ،24.

[2] ينظر المصطفى المويقن: بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، ص 103.

تستطيع مثل الحدس أن تحدد الإحساس قبليا بالنسبة لشكله حسب وحدة الإدراك، ويعتبر الخيال ضمن هذا الحد قدرة على تحديد الإحساس قبليا "[1]

د/ دلالة المتخيل عند الصوفية:

نكتفي في دراسة دلالات المتخيل في المجال الصوفي بما يعرف بـ «نظرية الخيال عند ابن عربي"، حيث أن" العمل الفلسفي الضخم للشيخ محي الدين ابن عربي يقدم في الثقافة الإسلامية بحسب عدة باحثين: (كهنري كوربان) 1958م، (ونصر حامد أبو زيد) 1983م، و(جيلبير رورانـد) 1981م، التصور الأشمل لنظرية متماسكة للخيال الإبداعي، ومن ثم قوة تمثيلية ابن عربي في هذا السياق".[2]

ذلك أن ابن عربي قد رفع الخيال إلى مرتبة العلم،" وهو حسن باطن بين المعقول والمحسوس وإذا كان ابن عربي لا يضع المتخيل في طرف مقابل للعقل، فذلك من أجل التأكيد على مجموع الوظائف التي يقوم بها وهو إلى الإطلاق أقرب منه إلى ما يحدد به العقل أو المحسوس، لذلك نجد المتصوفة قد كشفوا من خلاله عن صور التجلي الإلهي، الذي لا يتجلى بصورة واحدة مرتين فكل تجل يعطي خلقا جديدا ويذهب بخلق، وإن المتجلي يتقلب في الصور ويتقلب في الأشكال، وهذا هو تحول الحق في الصور عند التجلي ".[3]

أي أن نظرية الخيال الإبداعي عند ابن عربي تنشط بفعالية إلى الاندماج والتوحيد بين العلو المتجلي والصورة التي تجلى فيها، حيث يضع الروحي والمادي والمرئي واللامرئي في تجانس وانسجام، فهذه النظرية في الخيال الإبداعي تدعم دفع أي تعارض يمكن أن يقام بين التخيل والعقل.

3-المتخيل الروائي:

يرى الروائي (امبرتوا ايكو) أن الوظيفة الحكائية ضرورية للإنسان ذلك لأنه بحاجة إلى أن ينتج الحكايات؛ أي أن يكون الروائي قادر بأن يجعل الغياب ظاهرا.

---

(1) المرجع السابق نفسه: ص 103.

(2) العربي الذهبي: شعريات المتخيل، اقتراب ظاهراتي، ص 60.

(3) آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص 20.

لقد كان فعل المتخيل مقترنا بالعجيب، ثم أصبح متخيل الحقيقة_ على حد تعبير (اندري ما لرو) _إلا أنه يبقى مشدودا إلى العجيب باعتباره متخيلا، ولأن الرواية هي مكان الممكن ونهاية الممكنات؛ فعلى الورق فقط يمكن أن تتحقق مختلف الرغبات والأحلام , حيث يفتح الروائي للقارئ فضاء من الحرية، ولهذا لا يهتم دعاة الكتابة واللغة_ أو أصحاب الصنعة بالمصطلح التراثي – أصحاب الحكاية بأن كل شيء قيل، أو يتبرم المنتصرون للحكاية_ أو أصحاب الطبع بالمصطلح التراثي – من الإغراق في صناعة اللغة والتركيز على الخطاب , ذلك أن النص الروائي هو حكاية لمسار كتاباته , أو هو مرآة يرى فيها مسار تكونه .فيصبح كل عمل أدبي يشير إلى مراحل تبلوره كنص.[1]

بيد أن المتخيل في الروائي فضلا عما تعتقده آمنة بلعلى يبقى موسوما بخصوصية التشكيل الفني التي تتسمه بمسمى القراءة والتمييز الجمالي وهذا ما يسهم في توجيه المتخيل وجهة خاصة تلفت إليها القارئ المتمرس والناقد المتفحص.

[1] آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص31، 32.

ثانيا / علائق المتخيل:

انطلاقا من هذا الطرح الذي يوحى باتساع المجالات التي حظي المتخيل باهتمامها، يمكن تقصي بعض علاقاته والتي من أهمها:

1-**المتخيل والعقل:** يذهب بعض الباحثين_ بالنظر إلى الوظيفة التي أضافها الخيال والمتخيل إلى الإبداع والجمال_ إلى إنزال كل منهما (المتخيل والعقل) منزلة الآخر، أو يعقدون صلات حميمية بينهما.

فبالنسبة للمتخيل لا يمكن أن تتم حركته دون نظام، وهذا النظام لا بد أن ينفتح على العقلاني لكي يؤدي معناه الحقيقي، فيرسم أشبه الأشياء المدركة بالحس وتصبح موضوعات الحس مادة التفكير، وبهذا يمارس التخيل وظيفتين؛ أولاهما تتمثل في استعادة صور المحسوسات، وثانيها في استخدام هذه المحسوسات في التفكير، وهكذا يصبح من وظائف القوة المتخيلة حفظ صور المحسوسات.

ومن هنا يمكن القول إن المتخيل مرتبط بشكل حميمي بالعقل؛ فلا العقلاني وحده ولا المتخيل وحده يستطيع أن ينتج معرفة؛ لأن كل معرفة تستوجب مجموعة من أسباب الفهم وبغياب المتخيل لا يمكن لأي قضية أن تتجسد كواقع.[1]

2-**المتخيل والشعرية:** هناك صلة مباشرة بين التخييل والشعرية سواء العربية منها أو الغربية، ذلك أن الفلاسفة والبلاغيين والنقاد تركوا لنا معجما شارحا للتخييل، يقوم على فهم المتخيل الشعري في علاقته بالمحاكاة بالنسبة للمبدع وأساليبها وأشكالها، والتعجب بالنسبة للمتلقي بكونه انفعالا له أيضا أشكاله.

ربط ابن سينا بين التخييل وإثارة التعجب وهو ربط يعني أن الخيال الشعري يبعث في نفس المتلقي الانفعال، وذلك من خلال إعجابه بالصور الحسية التي تتولد عن مخيلة الشاعر، فابن سينا يدرج التخييل والانفعال في مساق واحد، باعتبار أن التخييل يمكن أن ينفعل له المتلقي[2].

---

[1] آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص 20.

[2] المرجع نفسه ص 24 .

ومن خلال هذا نرى أن الخيال ضروري للإنسان لا بد منه ولا غنية عنه، ضروري له كالنور والهواء والماء والسماء ضروري لروح الإنسان ولقلبه ولعقله ولشعوره، لأن الخيال نشأ في النفس الإنسانية بحكم هذا العالم الذي عاش فيه الإنسان، وبدافع الطبع والغريزة الإنسانية الكامنة وراء الميول والرغبات وما كان مصدره الطبع فهو حي خالد، لا يمكن أن يزول إلا إذا اضمحل العالم.[1]

3-المتخيل والموضوع الجمالي والتلقي: تتعلق الفكرة الجوهرية في علاقة المتخيل بالموضوع الجمالي بقضية فهم وإدراك المتخيل باعتباره موضوعا جماليا وليس باعتباره تلاعبا حرا بالخيال؛ كما في الموسيقى من خلال الصوت، وفي الرسم من خلال اللون، وفي الأدب من خلال الكلمة، بقدر ما هو خبرة بالمفهوم الظاهراتي الذي يقول بالحياد الوجودي للظاهرة الخيالية؛ أي أنها ليست واقعا، كما أنها ليست عدما محضا ولا كذبا ولا وهما [2].

فهذا المفهوم يقوم على تمييز الخيال -باعتباره فعلا معرفيا-عن الإدراك والتذكر والدلالة؛ فالشعر مثلا يحتوي على الخيال ويحتوي كذلك على أفعال للإدراك والدلالة والتذكر، إلا أن الفعل المهيمن فيه هو الفعل الخيالي.

ففهم العمل الأدبي وإدراك حقيقته ليست مجرد انفعال ذاتي، بل هو" استيعاب الإبداعية الإبداع ذاته، أي من حيث هو موضوع الخبرة؛ أي موضوع جمالي يقتضي فهمه ضرورة وصفه وتحليل ما يحدث في خبرة الوعي والذات، التي تحاول ذلك من خلال تملكه خياليا وإدراكه حسيا وهذا يعني أن الاهتمام بالجانب الذاتي من تلقي العمل المتخيل لا يلغي بنية العمل وأسلوبه، ومن هذا كان الاهتمام بالصورة في كل من الفلسفة الظاهراتية والشعرية".[3]

---

[1] أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية لنشر، الطبعة الثالثة، أوت 1985، ص 18.

[2] العربي الذهبي : شعريات المتخيل , اقتراب ظاهراتي ,ص 327 .

[3] آمنة بلعلى : المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ص 28 .

ثالثا: تجليات المتخيل في تفكير سعيد يقطين النقدي:

لقد تميزت مرحلة السرد المتقطع والسرد المرسل حسب الباحث "سعيد يقطين" بظهور جيل جديد محمل بوعي سردي جديد يقوم على رفض الواقع العربي وهذا الرفض يتحقق كما يقول محمود أمين العالم:" بإبداع عوالم متخيلة بديلة، أو بإعادة تشكيل معطيات العالم الخارجي تشكيلا قد يكشف جوهر نواقصه، أو جوهر صراعاته، أو جوهر حركة قواه الاجتماعية المختلفة".[1]

وينبغي أن نفهم أن مفهوم السرد ليكون المفهوم الجامع لمختلف الممارسات التي تنهض على أساس وجود مادة حكائية يرتهنا إلى انطلاقنا من مقولة الصيغة التي توظف في تقديم المادة الحكائية، وليست الصيغة هنا غير السرد الذي يضطلع به الراوي وذلك على اعتبار أن صيغة السرد هي المقولة المحددة لأي عمل سردي من جهة، ومن جهة ثانية لأنها المقولة الجامعة التي تلتقي بواسطتها كل الأعمال الحكائية، ومن خلالها أخيرا تتجسد (بغض النظر عن بعدها الواقعي أو التخيل) وبها تختلف عن غيرها من الأجناس والأنواع.[2]

ويمكن رؤية ذلك بوضوح في تحليل الشعر الجديد (الحر مثلا)، فالبرغم من أن الشعر الحر أحدث بنيات تعبيرية جديدة على مستوى الإيقاع والصور، ومع ذلك لا نكاد نجد دراسات نقدية جديدة كفيلة باجتراح نظريات جديدة في هذا المستوى إضافة إلى أن هناك جوانب ما تزال غير متناولة وغير معالجة بالقدر الكافي في ما يخص اللغة والأسلوب والصورة والخيال في الرواية، وبصفة عامة فإن ما نلاحظه مهيمنا بشكل خاص هو تحليل نصوص مفردة. وكان من نتائج هذا العمل التركيز على نصوص والاشتغال عليها دون أخرى، أو إن الممارسة تتم على نصوص متباعدة ومختلفة، الشيء الذي يجعل إمكانية الحوار أو النقاش شبه منعدمة وشبه مستحيلة، لذلك فإن تحليل العديد من النصوص الشعرية

---

[1] ينظر محمود أمين العالم، يمنى العيد، نبيل سليمان: الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية، ص 15.

[2] ينظر سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص 87.

أو السردية في القديم أو الحديث لا يمكن أن تكون ذات مردودية إذا لم تكن وراءها أهداف قريبة و *أخرى* بعيدة نرمي إلى تحقيقها.[1]

من خلال هذا سنتطرق إلى موقف "سعيد يقطين" من المتخيل في بعض كتاباته:

موقف سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي، حيث يقول:

يتطرق المؤلف إلى مختلف الدراسات التي تناولت الحكي من ثلاث زوايا (القصة، الخطاب، النص) كما ذهبت إلى ذلك (شلوميث ريمون كينان) في كتابها "التخييل الحكائي" منطلقة من التساؤل التالي: لماذا نجد في تعليق صحفي سردا ولا نجد حكيا؟ وتخلص إلى كون السرد (narration) ذو طبيعة لفظية به يتم التواصل المستمر الذي من خلاله يبدو الحكي (narrative) مرسلة يتم إرسالها من مرسل إلى مرسل إليه، لتتحدد بذلك التخييل الحكائي في جوانب ثلاثة_ الأحداث، تمثيلها اللفظي، الفعل القولي أو الكتابي_ ويظهر طرحها من كون "القصة" كأحداث مسرودة مجردة من تركيبها في نص معاد إنتاجه، وإذا كانت القصة باعتبارها موضوعه والسرد باعتباره عملية إنتاجية.[2]

موقف سعيد يقطين في كتابه الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي فنجده:

وهنا نعاين بجلاء مكمن خصوصية نص السيرة الشعبية في تجسيده لمختلف التمثلات الوجودية والذهنية العربية، للذات والآخر، وهنا أيضا سر بقاء العديد من تجسداته في نسيج المتخيل العربي، الإسلامي إلى الآن، لذلك فإننا لا نبالغ إذا ما حاولنا التشديد على الأبعاد التمثيلية، في هذا النص، لمختلف ما يسكن الجسد العربي ويترسخ في الذاكرة العربية والوجدان العربي، ويحدد مختلف أنماط التخيل والإدراك والسلوك لدى الإنسان العربي.[3]

إن الأنماط الأساسية الثلاثة التي نحددها من خلال علاقة الكلام (الخبر) بالتجربة تنطلق من الأليف إلى العجيب مرورا بالغريب، وتنبني على ثلاثة أنماط من الإدراك تذهب

---

(1) سعيد يقطين وفيصل دراج: آفات نقد عربي معاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 2003، ص 47.

(2) ينظر سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص 42.

(3) ينظر سعيد يقطين: الكلام والخبر, مقدمة للسرد العربي، ص 9.

من الحواس الظاهرة (الواقعي) إلى المتصرفة (التخييلي) مرورا بالحواس الباطنة (التخييلي) على هذا الشكل:

الأليف: الواقعي

الغريب: التخييلي

العجيب: التخيلي.

وضمن هذه الأنماط الثلاثة يمكننا إجراء تمفصلات فرعية نحدد من خلالها مختلف الأنماط الأساسية الفرعية من خلال الاشتغال بمختلف العلامات والرموز والصور، وبذلك تتاح لنا إمكانية الإمساك بأبسط الأنماط المتمثلة للتجربة الواقعية (اليومي)، والممثلة للتجربة الفوق طبيعية (الأسطوري).[1]

موقف سعيد يقطين في كتابه السرد العربي مفاهيم وتجليات:

أما النمط الثاني التخييلي، فيتضح لنا من خلال أخبار المسامرين والمحترفين ولعل التشديد على "السمر" و "التخريف" يوحي إلى ما يسلب المادة المحكية بعدها "الواقعي" عندما تكون داخلة في نطاق الأخبار المخترعة، أو بقليل بعدها التاريخي بإدخال طابع "الخيال" المبالغ فيه عليها، ويضرب لنا ابن النديم أمثلة على ذلك من: ألف ليلة.[2]

كما تختلف المجالس عن بعضها من جهة العلاقة التي يأخذها طرفاها، ومن جهة طبيعة المحاورات التي تجري فيها، والتي ستضعنا أمام احتمالات متعددة، يمكننا كذلك التمييز بين مجالس واقعية، وأخرى تخييلية ويبين لنا هذا التمييز بجلاء الموقع الخاص الذي يحتله المجلس في الثقافة العربية، باعتباره موئلا لإنتاج الكلام وتلقيه، وتقدم لنا العديد من المصنفات إمكانات التمييز هاته، ويمكننا توضيحها على النحو التالي:

1- مجالس واقعية: الموفقيات، المجالس المؤيدية، "الإمتاع والمؤانسة...".

2- مجالس تخييلية: المقامات، " ألف ليلة وليلة...".

---

[1] المرجع السابق نفسه: ص 200.

[2] سعيد يقطين: السرد العربي، مفاهيم وتجليات، ص 120.

وقد يتداخل ما هو واقعي بما هو تخييلي، وقد تكون بعض المجالس واقعية من حيث أطرافها " ذات بعد تاريخي"، لكن المصنف باعتماده إياها قد يوحي إلينا بواقعية تلك المجالس، رغم كونها تخييلية بالأساس [1].

إن الفرق بين التخييل والتجسيد فرق بين السرد والوصف، بين التحول والثبات، وهو نفسه الفرق الذي يمكن أن نجده بصورة أخرى بين " السمعي والبصري" أو بين " الخبر والعيان".

ولو أردنا الذهاب بعيدا في تسجيل هذا التمايز لأخذ الصورة التالية:

الوصف	نض	السرد
المكان	نض	الزمان
الآن	نض	أمس
هنا	نض	هناك
التجسيد	نض	التخييل

(نض = نقيض)

ولو أردنا تشكيل صورة ما فلابد لنا من " تخيل" الفضاء الذي يمكن أن يقع فيه ما وقع في المقامتين لأن لا شيء مجسد أو ملموس [2].

إن الأشكال الثلاثة (الحافز – الرغبة –الإطار) تتداخل فيما بينها ويختلف بعضها عن بعض، هكذا وجدنا التشابه كبيرا بين الأول والثالث حيث نجدهما معا ينهضان على أساس سردي تخييلي، وذلك لأن القائم بالرحلة ذو طابع تخييلي وإن كان ذا بعد واقعي (عنترة– الملك – سيف ...)، ونفس الشيء يمكن قوله عن فضاءات الرحلة، فإنها بدورها ذا طابع تخييلي، وإن كانت ذات بعد تاريخي وجغرافي (بغداد، الحجاز، اليمن ...) لأن هذه الفضاءات تكتسب طبيعتها الخاصة في نطاق السرد الذي يقدمها[3].

---

[1] المصدر السابق نفسه: ص 155.

[2] المصدر السابق نفسه: ص 198.

[3] المصدر نفسه: ص 204.

من خلال نصية الرحلة ما يساعدنا على البحث في الأبعاد الدلالية القريبة أو البعيدة التي ينهض على أساسها نص الرحلة، وما يحمله من سمات عامة وكلية يشترك فيها مع مختلف النصوص، والتي نجدها كامنة (أي الأبعاد) في المستويات الثقافية والحضارية العامة والتي تذهب من الواقعي إلى المتخيل مرورا بالتخييل والعجائبي، ولوصول البحث إلى الكشف عن هذه العوالم يلتقي بالضرورة مع باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة التي تملك إستراتيجية معينة للبحث في تطور الأفكار والذهنيات والبنيات العقلية والتخييلية المختلفة.[1]

أما المقصد الثاني فيبرز في إثارة الانتباه إلى أن هناك جوانب كثيرة لم تتعامل معها في تراثنا السردي، ولم نراكم بصددها ما يكفي من الدراسات والأبحاث الأصيلة: مثل قضية "العجائبي" و " المتخيل" و "الواقع" ومالم تتجهز لذلك بالعدة النظرية الملائمة فإننا سنظل نعاني من صعوبات نتناولها أو العمل على فهمها [2].

موقف سعيد يقطين في كتابة قضايا الرواية العربية الجديدة:

مع تطور الكتابة والزمن ستصبح هذه المادة المجلسية المدونة محفزة لتقديم مادة تخييلية ولكنها تقدم وكأنها محملة بالبعد "الواقعي" الذي هيمن في المرحلة السابقة، ويمكننا إدراج "المقامات" نموذجا لهذا السرد في مستواه التخييلي سواء على مستوى الشخصيات أو الأحداث، ولكنها تستمد خيالها السردي من الواقع الجديد الذي تكونت في نطاقه [3].

إن هذه المادة المصنفة والمدونة في المصنفات الجامعة تسمح بتشكل خلفية للكتاب الذين سيحملون على تركيب العديد من عناصرها، تارة أو توقيف بعض مكوناتها مع ما يقدمه الواقع الجديد، أو الانطلاق طورا منها لابتداع وتخييل عوالم مشابهة.

---

[1] المصدر السابق نفسه: ص 225.

[2] المصدر نفسه: ص 312.

[3] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ص 31.

لذلك نجد شخصيات هذه الأعمال السردية تذهب من الشخصية ذات البعد "الواقعي" مثل أبـي القاسم البغدادي إلـى الشخصـية ذات الحمولـة المعرفيـة والفلسـفية والتخييليـة" حـي بـن يقظان مثلا" مرور بالشخصيات التاريخية – التخييلية أو الحقيقية.

إنـه يكتـب روايـة وكفـى، حتـى وإن تحـورت علـى الـذات، لأن الكاتـب لـم يلتـزم بـ قواعـد السيرة الذاتيـة ولا يمكـن قراءتهـا فـي ضـوء السـيرة الذاتيـة وقـد اتخـذت لبوسـا مخالفـا لمـا هـو معهود في كتابات السيرة الذاتية التقليدية، لقد تم مزج الواقع الذاتي بـ التخييل الفنـي" فالذات تمـنح مـن واقـع الـذات، ولكنهـا لا تتقيـد بقـوانين السـيرة الذاتيـة وشـروطها التـي تتميـز بهـا النصوص التي يدرجها أصحابها في خانة هذا النوع.

لكن إدراج البعد الذاتي متصلا بـ التخييل الفني أدى بنا إلى الحديث عن نوع جديد هو " التخييـل الـذاتي"(AUTOFICTION) أو الحكـي الـذاتي (AUTOREAIT) تحويـل للسيرة الذاتية (الكلاسيكية)، أو تحول عنها بكتابة نوعية هجينة تجمع بين الذاتي والتخييلي، وإذا كان هذا النوع من الكتابة في المغرب مثلا في نطاق الرواية، فإنه ومع اتساع الكتابات التي تنهل من الذاتي والتخييلي من جهة. وتطور الدراسات النظرية التي اهتمت بهذا النوع ابتدأ الإحساس والاعتراف نسبيا بنوعية هذا الإنتاج السردي الذي صار تحت اسم «التخيل الذاتي".

منذ أن ظهر مفهوم التخيل الذاتي بدأت الدراسات تهتم به نوعا سرديا له خصوصياته وقواعده، أي أن التحديد النوعي لهذا النمط الكتابي هو الذي أدى إلى العناية به وتجاوز المفهوم العائم "الرواية".[1]

بعد هذا العرض المبسط لملامح وسمات كل من السرد المجلسي والسرد الكتابي، يخلص الباحث إلى أن ظهور الكتابة أسهم في تشكل ملامح سرد جديد سواء على مستوى الشكل أو المحتوى أو الأنواع السردية وتتضح هذه الملامح في: الانتقال من الإخبار إلى التخيل، ظهور أنواع جديدة، التنظيم النصي وتطور الأشكال السردية المكتوبة.

---

[1] المصدر السابق نفسه: ص 158.

يرى الباحث أن المادة الحكائية قد اتخذت مسارين مع ظهور الوسيط الجديد(الكتابة)، تمثل المسار الأول في تدوين المادة الحكائية التي قيلت في السرد المجلسي من قبل الإخباريين ثم المؤرخون بهدف استثمارها في كتابة التاريخ القديم , أما المسار الثاني فتمثل في كون المادة الحكائية نفسها ستصبح مادة للثقافة الشعبية عن طريق تدوينها في كتب "المصنفات الجامعة" التي ستستخدمها للتعبير عن الحقيقة التاريخية وهنا يتم الانتقال من الإخبار إلى التخيل، هذه المادة الحكائية المدونة أصبحت تشكل خلفية للكتاب ،الذين حاولوا في مختلف كتاباتهم السردية إتباع وتخيل عوالم مشابهة لها، ويبرز ذلك في الحكايات والنوادر والعجائب والقصص والمقامات ... الخ [1]، يشير الباحث أيضا إلى بزوغ رصيد آخر للكتاب وتمثل في بروز كتابات جديدة عبرت عن مختلف معارض العصر ككتب القصص الديني، وكتب المغازي والفتوح والسيرة وغيرها، أدت هذه الكتابات إلى تنويع المادة السردية، لذلك نجد شخصيات هذه الأعمال السردية تنتقل من الشخصية ذات البعد الواقعي إلى الشخصية ذات الحمولة المعرفية والفلسفية والتخييلية، هذه الأخيرة وظفتها الأنواع الجديدة بشروطها المتمثلة في تنظيم و تنسيق المادة الحكائية في مؤلف سردي , وبهذا تطورت الأشكال السردية المكتوبة كالمقامات والحكايات ... الخ.[2]

وفي هذا المجال النقدي نجد رأي "**عبد الله إبراهيم**" حيث يقول: "إن الخطاب مستوى يتم من خلاله بناء الحكاية المتخيلة في ذهن القارئ، وذلك بناء على ما تمنحه المفردات اللغوية من مفاتيح لإنشاء تلك الحكاية، وإذا كان المؤلف قد برع في توظيف أساليب السرد في الخطاب الروائي من خلال وقوفه المفصل على الرؤى والصيغ والزمن، فإنه لم يلحق ذلك بجهد مماثل في الوقوف على عناصر الحكاية المتخيلة، ومستويات بنائها وإذا كانت الحكاية هي أولى الخصائص المميزة لجنس القص، فلا بد من الوقوف لوصفها بصورة تفصيلية. وإذا كان قد مر سريعا إزاء عناصرها الأساسية وهي الحدث والشخصية والزمان والمكان ،فإنه لم يفصل في انساق بناء الحدث ولا عند أركان التشخيص الأساسية وهي

---

[1] المصدر نفسه, ص 30.

[2] المصدر السابق نفسه, ص 33.

الملامح الخارجية والأفعال والملامح الفكرية، إن الوقوف المفصل إزاء خصوصية هذه الأبنية والمستويات له أهمية قصوى في الوصول إلى خصائص الخطاب الروائي قيد الدرس، وإذا كان المؤلف قد نص إلى أنه لن يبحث في القصة "الحكائية المتخيلة" إلا من خلال علاقتها بالخطاب، فإنه من النادر أن نجد خطابا عربيا تبلغ فيه درجة التطابق بين الخطاب والحكاية، على غرار نصوص قليلة جدا في الرواية الفرنسية الجديدة ،فلا شك أن المورث الأساسي للخطابات السردية أنها تفضي إلى حكايات متخيلة، ويكون تبعا لذلك البحث في أبنيتها , أمرا أساسيا في تحليل مستويات تلك الخطابات. [1]

كما نجد "إبراهيم خليل" في المجال هذا (من حيث المتخيل والواقع) يقول: مما كثر تداوله وشاع في كتب النقد الأدبي، والدراسات المعنية بفن الرواية والخطاب السردي، لا يشتمل إلا الشخصيات التي يحاكي فيها الكاتب شخصيات عادية مألوفة في الحياة اليومية، بيد أن من الرواية ما يحتوي شخصيات لا تقوم على مبدأ المحاكاة، ولا على فكرة المطابقة بين المتخيل والواقع وهذا شيء يمكن أن يوصف بالغرائبي.

وهذه ظاهرة ليست بالجديدة لا في السرد الشفوي ولا في السرد غير الشفوي.

فالمعروف أن الملاحم القديمة والأساطير تحدثت عن شخصيات هي مزيج من المتخيل (الغرائبي) والواقع، فأبطال الملحمة المعروفة باسم جلجامش غرائبيون من حيث أنهم مزيج من الآلهة والناس، أو مزيج من الإنسان والحيوان أو من الطير والإنسان.

وفي العصر الحديث استخدم الكتاب الروائيون مثل هذا الضرب من الخيال الذي يتجاوز حدود التصديق، فلجأ بعضهم إلى مزج الشخصية بأخرى تاريخية أو قديمة على نحو ما فعل "جيمس جويس" في روايته "عوليس" وفي رواية "مؤنس الرزاز سلطان النوم وزرقاء اليمامة".[2]

---

[1] عبد الله ابراهيم: المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، ص 180، 181.

[2] إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى 1431هـ -2010 م، ص 203.

خاتمة

نكتشف مما سبق وبعد محاولتي في الصفحات السابقة أن أتحدث عن سعيد يقطين وجهوده في قضية الواقع والمتخيل، وبعد قراءتي لعدد من مؤلفاته بدأت بالحديث عن الواقع وحضوره النقدي عنده، كما تعرضت إلى تجليات المتخيل في تفكير سعيد يقطين النقدي وبعد هذا فقد أظهرت الدراسات النتائج الآتية:

1-لقد بات واضحا من خلال ما سبق أن تعرية الواقع لا تنفي المتخيل عند سعيد يقطين، فكما أن التواصل يحتاج الى سياق، فكذلك فهم متخيل مرحلة معينة يقتضي فهم ذلك السياق، فالقارئ يحتاج في كل مرة الى فهم البنيات الرمزية للواقع الذي أعيد إنتاجه بواسطة بعض التأويلات التي تقام حول النص باعتباره يشكل جزءا من المكونات البنيوية لثقافة مرحلة معينة.

2-كما أصبح واضحا أنه بالإمكان الشك في ثراء المتخيل إلا أنه لا يمكن الشك في وجوده باعتباره يعيش ويتحرك داخل اللغة، مساهما في تأسيس أنماط التواصل الجمالي بين القراء في كل مرحلة من المراحل، وفي كل عصر من العصور.

3-لقد تطور السرد العربي في رأي **سعيد يقطين** من حيث أساليبه وأشكاله، وحقق في تاريخه الطويل أشياء هامة، وهو مرشح إلى التطور إذا تطور الوعي به، كان السرد في فترة السرد المجلسي وسيلة لتزكية وتوسيع الخيال، وهذا بغية الهروب من متاعب الحياة من جهة وبغية التغلب على وطأة الزمن من جهة أخرى.

4-أما مع السرد الكتابي فقد ظهرت أنواع سردية جديدة كالمقامة، والسيرة الشعبية، وبنيت هذه الأنواع على الإمتاع باعتباره رغبة المتلقي الدائمة، وتأتي " الرواية" الورقية المطبوعة لتعلب دور الاستكشاف والبحث عن حقيقة الواقع ودلالاته الضائعة، خاصة أنها أصبحت مصاحبة للقارئ أينما حل وارتحل.

5-لما كانت الرواية التاريخية في نظر **سعيد يقطين** عملا سرديا يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية، تتداخل فيها أحداث تاريخية مع أحداث متخيلة،

فإن اشتراط **سعيد يقطين** في هذا النوع من الرواية للمسافة الزمنية والحقبة الزمانية في المادة الحكائية لا غرابة فيه.

ومن خلال هذا نلاحظ أن الناقد يرى في كتاباته أنها قضايا مرتبطة في تطورها بتطور الوعي بها من جهة، وتطور الوسيط التواصلي (الشفاهي، الكتابي، الطباعي، الرقامي)، من جهة ثانية إن في هذه النظرة تأكيدا على تحكم الناقد في اختياراته ووعيه العام بالممارسة النقدية.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد لي يد العون، راجية من المولى عز وجل أن يساهم هذا البحث في تزويد المعرفة بما هو مفيد ونافع، ولله الحمد والشكر أولا وأخيرا.

قائمة المصادر والمـــراجع

أولا: المصادر:

1-سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر 2012 م.

2-سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع ط1، القاهرة، 2006م.

3-سعيد يقطين: الكلام والخبر، (مقدمة للسرد العربي)، المركز الثقافي العربي، ط1 الدار البيضاء، 1997 م.

4-عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي: مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، حزيران 1990م.

5-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة 2004 م.

ثانيا: المراجع:

1-إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر الطبعة الأول 2010م.

2-آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (د.ط) 2007 م.

3-حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى،2000 م.

4-حسين خمري: فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002م.

5_ زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر دراسة نقدية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ،1985م.

6-سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.

7-سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3 2006 م.

8-سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1997 م.

9-سعيد يقطين: قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، 1997 م.

10-سعيد يقطين وفيصل دراج: آفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1 ،2003م.

11-صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

12-صالح فخري: في الرواية العربية الجديدة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2003.

13-طارق علي: تأملات في الرواية والتاريخ، ندوة الرواية والتاريخ، دار الكتب القطرية، (د.ط)، 2005م.

14-عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2007 م.

15-عربي الذهبي: شعريات المتخيل، اقتراب ظاهراتي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ،2000م.

16-عصام محمد الشنطي: الجمالية والواقعية في نقدنا الأدبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1979 م.

17-عمر الطالب: الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1971 م.

18-غولدمان ساروت، روب كربيه، مويلو: الرواية والواقع، ترجمة رشيد بن حدو، دار التشرعيون المقالات، الطبعة الأولى، 1988 م.

19- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثالثة، أوت 1985 م.

20-محمود أمين العالم، يمني العيد، نبيل سليمان: الرواية العربية بين الواقع والايدولوجية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سورية، الطبعة الأولى، 1986م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

G .frege .ecrits logiques et philosophiques .seuil .paris .1971

رابعا: المذكرات:

1- زهيرة بارش: الدرس السردي في الخطاب النقدي العربي المعاصر – مقاربة تحليلية في نموذج سعيد يقطين –مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، جامعة سطيف، 2010 م.

2-قذيفة فريحة: الواقع والمتخيل في رواية فرسان الأحلام القتيلة لإبراهيم الكوني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة المسيلة، 2013م.

خامسا: المجلات:

1-مجلة آفاق العلم: نور الدين محقق 21 ديسمبر 2006 م.

2-مجلة الحياة:21 مايو، أيار 2014 م.

3-مجلة دفاتر الاختلاف الالكترونية: إعداد كمال الرياضي 2011/6/2 م.

4-مجلة فصيلة: تصدر عن وزارة الثقافة عدد 18. نوفمبر 2007 م.

سادسا: موقع الأنترنت:

1-عن حدود الواقعي والمتخيل، عبد اللطيف محفوظ http// www.aljabriabed

2-http // www.said yoktine.net

3-http/www.ahevar.otgidebablshow.art.h11:23 2013 /01/17

فـــهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة ..... أ- ب

الفصل التمهيدي: في علاقة الواقع بالمتخيل

أولا: حياة سعيد يقطين ومؤلفاته في سطور..... 07

ثانيا: علاقة الواقع بالمتخيل..... 10

1- علاقة تلاحم..... 11

2- علاقة موضوع بمحمول..... 12

3- علاقة دال بمدلول:(علاقة وجودية اعتباطية) 12

4- علاقة متبادلة..... 13

5- علاقة جمالية..... 15

6- علاقة تعارض..... 17

الفصل الأول في مفهوم الواقعي وحضوره النقدي

أولا: مفهومه اللغوي والاصطلاحي ومجدل التوظيف..... 20

1-الدلالة اللغوية..... 20

2-الدلالة الاصطلاحية 20

3 -الواقع الروائي 21

ثانيا: علائق الواقع وامتداداته 24

1-الواقع والفلسفة..... 24

2-الواقع والذات 25

3-الواقع والأسطورة..... 25

ثالثا: رؤيا سعيد يقطين النقدية 26

الفصل الثاني: في مفهوم المتخيل وتجلياته النقدية

أولا: مفهوم المتخيل ودلالاته..... 39

1–مفهوم الدلالة اللغوية 39

2–دلالته الفنية 40

أ– دلالة المتخيل في الثقافة الإسلامية 41

ب–دلالة المتخيل عند البلاغيين العرب..... 42

جـ–دلالة المتخيل في الفكر الغربي..... 43

د– دلالة المتخيل عند الصوفية 44

3–المتخيل الروائي 45

ثانيا: علائق المتخيل..... 46

1– المتخيل والعقل..... 46

2– المتخيل والشعرية 46

3– المتخيل والموضوع الجمالي والتلقي 47

ثالثا: تجليات المتخيل في تفكير سعيد يقطين النقدي..... 48

خاتمة 58

قائمة المصادر والمراجع

ملخص

ملخص

ملخص

دارت مباحث هذه الدراسة حول جدلية الواقعي والمتخيل في النقد العربي الحديث – سعيد يقطين أنموذجا–.

في ضوء هذا كانت الإشكالية المطروحة: ما طبيعة الواقعي والمتخيل عند سعيد يقطين؟ وما نظرة سعيد يقطين للواقعي والمتخيل من خلال أعماله النقدية؟

إن المعنى العام للمتخيل ينحو بقوة نحو التناظر مع معنى الواقعية سواء تعلق الأمر بالشيء أو الظاهرة، كما يتأكد أن معناه في مجال النقد الأدبي يرتبط بوجود بناء متماسك ونهائي، يماثل المبتديات الفعلية التي تؤطر حياة المجموعات الاجتماعية المختلفة.

يعد الباحث سعيد يقطين واحد من الباحثين والنقاد الذين اهتموا بالرواية، وحاولوا الكشف عن أسرارها الفنية، وهذا بغية التأهيل لفن الرواية، ويتجلى هذا الاهتمام بشكل واضح في كتابه "قضايا الرواية العربية الجديدة "، الذي تناول فيه جملة من القضايا التي وقفت عليه الرواية العربية الجديدة، وحاولت معالجتها بخاصية فنية جديدة نابعة من كيانها الجديد.

هكذا يتجلى مفهوم المتخيل والواقع في معظم كتب سعيد يقطين النقدية وبدرجات مختلفة، وهو ما يدل على الاهتمام بطرائق بناء الرواية وتقنياتها السردية.

Résumé

Cette étude a été réalisé sur le réel et l’imaginaire dans le discours monétaire arabe - said yaktin model-

A la lumière de ce problème ont été posées: Quelle est la nature de le réaliste et l’imaginaire chez said yaktin, et quel’est sa vision a le réaliste et l’imaginaire atravers ses travaux critique?
le sens général de l'imaginaire se aligner fortement avec le réalisme de la symétrie signifie que ce soit quelque chose ou un phénomène, assure également que sa signification dans le domaine de la critique littéraire est liée à l'existence de la construction d'un ensemble cohérent et finale, semblable à l'actuel Alambtdiat qui encadrent la vie des différents groupes sociaux.

Le chercheur a dit citrouille et l'un des chercheurs et des critiques qui étaient intéressés dans le roman, et a tenté de détecter les secrets techniques, et ce, avec une vue à la réadaptation l'art du roman, cet intérêt se reflète clairement dans son livre "Le nouveau roman de questions arabes", qui traite d'un certain nombre de questions qui se trouvait par le nouveau roman arabe , et il a essayé de les aborder nouvelle caractéristique technique découle de la nouvelle entité. Ainsi reflète le concept de l'imaginaire et de la réalité dans la plupart des livres de trésorerie heureux de potiron des degrés divers, qui montre des moyens intéressants pour construire roman et les techniques narratives